تعليم الفتيات
لا سفور المرأة

تأليف
العلامة محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي
(المتوفى سنة ١٣٧٦ هـ)
رحمه الله تعالى

تحقيق
الدكتور محمد بن عزوز

مركز التراث الثقافي المغربي
دار ابن حزم



تعليم الفتيات

لا سفور المرأة

تأليف

العلامة محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي

(المتوفى سنة ١٣٧٦ هـ)

- رحمه الله تعالى -

تحقيق

الدكتور محمد بن عزوز

مركز التراث الثقافي المغربي

الدار البيضاء

دار ابن حزم

الطَّبْعَةُ الأولىٰ

١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

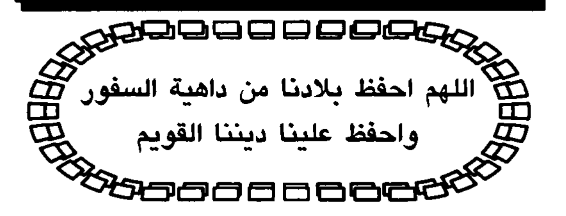
دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت ـ لبنان ـ ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ ـ تلفون: ٧٠١٩٧٤

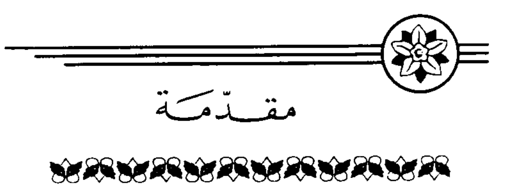
إن الفتاة هي نواة العائلة، بل نواة الأمة، إذ فتاة اليوم هي أم الغد.

وهل الأولاد إلا غصن من دَوحتها؟

وهل الحديقة إلا مجموع تلك الدوحات وغصونها؟



من كلام محمد بن الحسن الحجوي



مقدّمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ذي الطول والنعماء، والصلاة والسلام على خير خلقِه سيدنا ومولانا محمد خاتَم الرسل والأنبياء، وعلى آله الأتقياء، وأصحابه نُجومِ الاهتداء، ومن تبعهم بإحسان من الأئمة الفقهاء.

أما بعد: فإن موضوع المرأة أخذ حيزاً هاماً في كتابات ومحاضرات العلامة محمد بن الحسن الحجوي، وتوقف عنده في مناسبات كثيرة. وعالج قضاياه في معظم كتبه الفقهية ولا سيما كتابه: (**الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**)[1] وكان يرى أن إقلاع المجتمعات الإسلامية لن يتأتى بمعزل عن مساهمتها الفعالة فيه، ولأجل هذا كان يفصل في الكلام عنها في

(١) ج ١/ ١١٢ ـ ١٢٠ ـ ١٢٧ ـ وج ٢/٢٥٩.

رحلاته، ويوجه انتقاداته لها، ففي كتابه: **(الرحلة الأوربية)**[1] نجده يتحدث عن الصور السلبية التي رآها في أوربا. ومنها: التبرج الشديد للمرأة الأوربية وفي فرنسا بخاصة، فقال: «...فقد خلعن رِبقة الحياء، وتبرجن تبرجاً لا يتصور فوقه إلا سفاد الحيوانات في الطرق جهاراً»[2].

وبقدر ما هاجم الفرنسيات نراه يخفف من وطأة انتقاداته للإسبانيات والإنجليزيات، فيقول في كتابه: **(الرحلة الأندلسية)**[3] «... في غالبهن (يعني الإسبانيات) عفة وقلة خفة، فليست فيهن خفة الروح التي في النساء الفرنسيات، ولا التهتك وخلع الثياب، فلا ترى امرأة كاشفة ذراعيها، ولا لابسة ذلك اللباس الشفاف الذي يظهر بشرة الصدر والظهر والفخذين وما سواهما، فلا يكشفن غالباً إلا الوجه والكفين وربما كشفن شيئاً من الصدر، وغالبهن يجعلن على رؤوسهن فوق القبعة شيئاً مرتفعاً يشبه في علوه ما كان نساء المغرب يسمونه (الحنطوز)... ولا شك أنها عادة إسلامية قديمة دخل عليها التحوير والتخفيف».

---

(١) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ـ رقم ١١٥ ح ـ وقد طبع.

(٢) الرحلة الأوربية: ١٣١

(٣) مخطوط ـ بالخزانة العامة بالرباط ـ رقم: ٢٦٠ ح ـ ورقة: ١٤.

وقد استحسن بعض العادات الإنجليزية، فعند ركوبه مركباً إنجليزياً أثناء رحلته، لاحظ وجود محل خاص بالنساء لا يدخله الرجال، وذلك أمر لم يجده عند الفرنسيين، وأضاف متمنياً: «وما أحق أن تكون هذه العادة عند عامة المسلمين»[١].

ومن خلال ما دوَّن في رحلاته عن المرأة نستشف الجانب الذي كان يزعجه في النساء الفرنسيات وهو: تهتكهن، وقلة حشمتهن، في حين كان يعجبه فيهن العلم والمعرفة، فكان يطالب المرأة المغربية باقتباس ذلك منهن.

ولم يكتف بانتقادهن بل قارنهن بالنساء المسلمات، ورجع إلى العهود الأولى للإسلام مفتخراً ببعض الأدوار التي قامت بها بعض النساء المسلمات.

ولم يقتصر الحجوي بالتأليف في موضوع المرأة بل خرج إلى الساحة وألقى عدة محاضرات داخل المغرب وخارجه، ولا سيما في تونس من أجل الحث على تعليمها.

وعندما ألقى محاضرته الشهيرة حول تعليم الفتيات بمعهد الدروس العليا بالرباط سنة **١٩٢٥**م

(١) الرحلة الأوربية: ٢١٨.

وحضرها علماء مغاربة وفرنسيون، عارضها بعض الشخصيات مما اضطر إلى القطع دون الإتمام[1] وممن انتقده الصدر الأعظم المَقْري[2]، ووزير العدلية أبي شعيب الدكالي، إذ اعتبروا تعليمها بدعة وضرراً

---

(١) اضطر الحجوي إلى قطع المحاضرة، وغادر القاعة، ولسان حاله يقول:

يراني أناس بالخطا متقلداً	وإن كنت لا أبني إلا المجد والعُلى
فيسعون في ذمي ونسف عزائمي	ويأبون إلا أن أكف أو أهملا
ولكن صدري لا يضيق بحالهم	فشيمتهم جهل وحسبي أن أعملا
ولست أبالي إذ يقال أن الفقيـ	ـه المشوس بل مجنون خير أن يخذلا
فأي غيور لا يفدى ويزدري؟	وكل الذي يسعى إلى الحق يبتلى

(انظر: كتاب: **(العقل والنقل في الفكر الإصلاحي المغربي)** للأستاذ حسن أحمد الحجوي ص: ١٦٠.

(٢) كانت تدور سجالات بين المقري والحجوي حول مسألة تعليم المرأة، وكان المقري يقاطع الحجوي أثناء محاضراته التي يدعو فيها إلى تعليم المرأة ليؤكد أن تعليمهن ضرر كله. ويذكر الحجوي أنه حتى سنة **١٣٥٨**هـ موافق **١٩٤٩**م ـ لم يكن يتفقد مدارس البنات قط، وذلك لأنه كان ممنوعاً من ذلك رسمياً على لسان الصدارة ـ انظر كتاب **(تفقد مدارس البنات)** للحجوي ـ مخطوط ـ.

وربما كانت مواقف المقري هذه هي التي جعلت الحجوي ينعته بالجهل. انظر: **(المنتخبات الجعفرية)** مخطوط ـ ورقة: ١٠٠ ـ وانظر كتاب: **(الفكر الإصلاحي في عهد الحماية)** للأستاذة آسية بنعدادة ـ ص: ٢٨٣.

للمجتمع ومصدراً للفساد، وأنه قد يؤدي إلى سفورها، كما اعتبروا الحجوي بوقاً لفرنسا التي تدعو إلى تعليم البنات.

وحاول الحجوي أن يوضح رأيه ويصحح ما فُهم خطأ من دعوته إلى تعليم المرأة، فألقى هذه المحاضرة التي بين أيدينا: (**تعليم الفتيات لا سفور المرأة**)[1].

يقول الحجوي موضحاً رأيه في هذا الموضوع: «هذا وإني أعلم أن الذين أنكروا علي الحث على تعليم البنات لهم قصد حسن، وغيرة حملتهم على ذلك، وقصدهم هو سد الذريعة، خوف الوقوع في

---

(١) يرى الأستاذ سعيد بن سعيد العلوي أنه حصل تراجع في موقف الحجوي من تعليم المرأة، حيث كانت محاضرته التي ألقاها في العشرينيات أكثر جرأة من تلك التي ألقاها في الثلاثينيات، ويتساءل عن السبب: هل يرجع إلى ما أثارته محاضرته الأولى من حجة عليه جعلت الفئة المحافظة من المخزن تغضب عليه؟ أو بسبب انفعاله لما وجده من آراء جريئة في كتاب الطاهر الحداد، شعر معها بخدش دينه فانتصب للدفاع عنه؟ أو أن الأمر يتعلق بتراجع شخصي مصدره حصول تطور في نظرته إلى الأشياء.

وخلص إلى القول: إن هذه الأسباب ربما كلها مجتمعة لتبرر موقفه. انظر: (**صورة المرأة في الفكر التحديثي المغربي**) ضمن النساء والأعلام.

العار، وفي مفاسد ربما تنشأ عن تعلمهن، لكني أقول لهم: إن هذا رأي متطرف عن الشريعة الإسلامية في منع النساء من العلم، وأحقق لكم أنه لا مفسدة إذا علمن التعليم الذي أريده على الكيفية التي أوضحتها، وإنما المفسدة في تعليمهن تعليماً إفرنجياً، على أن المفاسد مهما كانت فمفسدة الجهل أعظم، وهي الداء الذي لا دواء له إلا العلم، وأن المفاسد التي نشأت في هذه الأزمان للأمم الإسلامية من تعليم المرأة، فإنما هي من فساد التربية حيث أعطوها الحرية المذمومة، وهي التي لا تتقيد بآداب ولا دين، فأفسدوها وعلموها تعليماً إفرنجياً، فالذنب على من علمها فلم يحسن تعليماً، ولم يجعله داخل دائرة الشرع الشريف، والأدب التهذيبي اللطيف، كما أن مثل ذلك وقع لهم حتى في تعليم الأولاد. أفنمنع الأولاد من التعليم أيضاً؟!

ولا ذنب على المرأة حتى تعاقب بحرمان التعليم بل على الذين علموها تعليماً أوربياً لا ينطبق على ديننا وعوائدنا فلأي شيء يحرم النساء من العلم، والحقوق التي أنعم الله بها عليهن في شرعهن الكريم، ولهن القدح المعلّى في إعلاء الدين، وموازرة سيد المرسلين، فإذا كان أبو بكر سبق الرجال إلى الإسلام فإن خديجة

قبله سبقت ووازرت بمالها وحسن رأيها وعقلها وهي أم آل البيت الشريف. . .) إلى أن قال: (. . . حاصله ما كان من فضل للرجال يذكر إلا وللنساء مثله على عهده ﷺ وبعده).

وعلّق الأديب عبد الله الجراري على هذا الموقف الذي تعرض له الحجوي، في كتابه: (**التأليف ونهضته بالمغرب**)[1]، فقال: «كان بُعد نظر المترجم، وتقديره الأشياء من شحط المسافات وأبعاد الزمن - ببعثه على الصدع بما يختلج في نفسه من إصلاح ونهوض حتى في جانب الشطر الثاني للجنس البشري - المرأة - بيد أن الظرف في مجموعه لم يكن آنذاك يتلاءم والفكرة الصريحة التي أعلنها رحمه الله. ويبدو أنها لو أخذت طريقها المبكر ساعته، لسارت يحدوها إطار الوقار، وتحوطها هالة الحشمة، وكرامة الأنوثة في تدرج لائق، لكنها فرضت نفسها بعد عشرين سنة من إعلانها فاندفعت في فورة ثائرة تتعثر هنا وهناك، وتميع بعض جنباتها ميعة مخجلة».

وفيما يخص الحجاب، أكد الحجوي اختلافه في الرأي مع باقي دعاة تحرير المرأة، كالطاهر الحداد

(١) ص: ١٤٠ - ١٤١.

التونسي[1] وقاسم أمين المصري[2]: «الذي هتك الحجاب، وأزال عن هيبة الشريعة كل جلباب» ولو أنه عاش ـ يضيف الحجوي ـ «ورأى حالة مصر الآن وما يتخبط فيه مجتمع قومه من أزمة المرأة السافرة... لقرع سن الندم».

فالحجاب واجب، ولكنه لا يمنع المرأة من العلم، لأنه «لمحل العورة لا للأحوال كلها».

فعندما كان الإسلام متقدماً زاهراً، كانت المرأة عالمة وكاتبة، وشاعرة وهي محجبة، تبتدىء التعليم خارج المنزل، وعندما تحتجب تكمل معلوماتها في منزلها أو تخرج لتلقيه في المساجد محجبة.

والحجاب في نظره ليس من باب سد الذرائع فقط، بل لأن فيه مصلحة للأسرة والمجتمع.

أما بالنسبة لأخطار السفور على المجتمع كما

---

(١) ألف الطاهر الحداد كتاباً سماه: **(امرأتنا في الشريعة والمجتمع)** وقد استبشع الحجوي هذا العنوان، وعلق عليه قائلاً: «وكفى في هذا التأليف بشاعة اسمه».

(٢) ألف قاسم أمين كتابين:

(١) **(تحرير المرأة)**.

(٢) **(المرأة الجديدة)**.

تحدث عنه الحجوي فإنه يفضي إلى الاختلاط، ومزاحمة المرأة للرجل، كالخروج إلى مجالس الرقص واللهو وغير ذلك، مما يكون محل الريبة والفتنة والابتذال.

- والسفور يفضي إلى إحداث الاختلاف في نظام العائلة ويرى في السفور أيضاً: «. . . سفالة الأخلاق، وكثرة البذخ الذي يوجبه التبرج، وذهاب الثروات الطائلة في ذلك، وخراب البيوت بإسراف النسوة في تبديل أنواع الزينة والتنميص والترجيح والتزيين».

ثم قال: «وإنما السفور ويل وثبور على المرأة نفسها، ذاهب بشرفها، ومفتر لأشواق زوجها إليها، وثقته بها، ومزر بقيمها، بخلاف تحجبها الذي يزيد في شرفها بما لا يكون عند ابتذالها ولو كانت أبدع النساء جمالاً وكمالاً».

ورد الحجوي على قاسم أمين، وإن لم يذكر اسمه قائلاً:

«على أن عجبي لا ينقضي من رجل يزعم أنه مسلم، يؤلف كتاباً إسلامياً يدعي فيه أنه جار على مَهْيَع الدين الإسلامي، ملتزم بمبادئه، وأنه مصلح وداع إلى إصلاح ديني اجتماعي يوافق نصوص القرآن، ثم يزعم

أن الحجاب لا أصل له في القرآن وأن ليس في القرآن إلا حجاب أمهات المؤمنين، ثم يروم أن يكتم القرآن أو يحرف الشريعة لتطابق هواه»[1].

ويُحسُّ القارىء من خلال قراءته لهذه المحاضرة باستقلال شخصية الحجوي، ونصاعة علمه، وتمكنه في الفقه والأصول والحديث والتاريخ والتراجم والسير وعلم الاجتماع. كما يحس أنه من أصحاب الرأي والقلم، والوعي الإسلامي العميق، والنقد العلمي الهادف، ويقظته وغيرته على الشريعة وأحكامها، وبُعده عن المداهنة والمهادنة لأخطاء بعض الفقهاء المتساهلين، ولم يكن هو بالمعصوم مما طبع عليه الإنسان، ولذلك قال في مقدمة محاضرته **(تعليم الفتيات لا سفور المرأة)**: «سأتكلم عن هذه المسائل بما هو رأيي الخاص، ولست أعبر عن رأي أحد غيري، وسأنطق بما هو أوفق بالشريعة الإسلامية العالية».

ونستخلص من هذه المحاضرة القيمة أن المرأة إذا ربيت تربية صحيحة، ونشأت نشأة حسنة، ووجهت التوجيه السليم غدت كفيلة بالمساهمة في بناء مجتمع

---

(١) يمكن الرجوع إلى ما قاله قاسم أمين في هذا الشأن ـ في: **(الأعمال الكاملة)** دراسة وتحقيق الدكتور محمد عمارة.

إنساني صالح، ونشوء أمة عريقة، وتشييد صرح حضارة إنسانية راقية.

أما إذا أهملت تربيتها، وانحرف سلوكها، وفسد فكرها وعاطفتها وضميرها فإنها تصبح بذلك خطراً على مجتمعها كله، وترويج الرذيلة في أنحائه، ودمار القيم الأخلاقية في آفاقه.

فالمرأة في صلاحها واستقامتها من أهم عناصر بناء المجتمع الإنساني الأمثل، وما نهضت أمة تخلفت فيها المرأة عن ركب الحياة والمعاني الإنسانية الكريمة، ولا ارتكست أمة بلغت فيها المرأة أوج الوعي والطهارة والاستقامة.

ورحم الله الحجوي عندما قال: «...فالبنت أو الأم، هي الداعية الأكبر للدين، والناشرة له، والحافظة لأمانته، إذا كانت متدينة، والعكس بالعكس، فهي الناشرة للفضيلة أو الرذيلة، وها نحن نرى أولاد العائلات الرفيعة والوضيعة، ونفرق بينهم بمجرد الاجتماع والعشرة، فنعلم تأثر كل واحد بالتربية الحسنة أو ضدها، فذاك منطبع على الفضيلة، وهذا على الرذيلة، ففي البيت ابتداء كماله أو نهاية نقصانه...».

ولله درُّ الداعية الكبير مصطفى السباعي

ـ رحمه الله تعالى ـ عندما قال: «رضي الله عن أمهاتنا وزوجاتنا المتفيئات ظلال الإسلام، العاملات بأحكامه، فوالله ليوم من أيام الواحدة منهن، يَعدل في إنسانيته وجلاله وطهره عمراً كاملاً من أعمار أولئك اللاتي يتفيأن ظلال هذه الحضارة الفاجرة الغادرة المتمردة المبدلة لصنع الله»[1].

وبعد هذه الجولة العامة، فإن هذه المحاضرة على صغر حجمها ولطافة قدرها، تضمنت فوائد جُلَّى وردود مقنعة لمن يمنع تعليم المرأة أو يدعو إلى سفورها، ورفع الحجاب الذي يأباه الدين والقرآن ومكارم الأخلاق.

وهذه المحاضرة مخطوطة محفوظة في الخزانة العامة بالرباط ـ رقم ٢٠٥ح ـ بخط المؤلف رحمه الله تعالى ـ.

ثم وقفت عليها مطبوعة ـ ضمن الوثائق التي نشرها الأستاذ سعيد بن سعيد العلوي في كتابه: **(الاجتهاد والتحديث)** فصرفت النظر عن خدمتها والعناية بها، اكتفاءً بهذه النشرة التي قام بها الأستاذ المذكور ـ جزاه الله خيراً.

(١) هكذا علمتني الحياة: ٢٥٦.

ثم عرضت لي مراجعة فيها، فرأيت أنها تحتاج إلى مزيد من التعليق، وتخريج الأحاديث والتعريف بالأعلام المذكورين فيها.

فتحركت همتي من جديد إلى خدمتها والتعليق عليها بإيجاز بالغ في مواضع، وبإسهاب في مواضع نظراً لمقتضى المقام.

ورأيت من المناسب أن أضم إليها محاضرة نفيسة ألقاها الحجوي عام ١٣٤٣هـ ـ بعنوان: **(تعليم البنات في الإسلام)** وطبعت في تونس بعنوان: **(المحاضرة الرباطية في إصلاح تعليم الفتيات بالديار المغربية)**.

قال عنها الحجوي: (وقد طبعتها النهضة التونسية وتقبلها العالم الإسلامي شرقاً وغرباً بأكمل قبول) وظهر لي في هذه النسخة المطبوعة عدة أخطاء، فقابلت النسخة المطبوعة بنسخة بخط المؤلف في خزانة الحجوي بالرباط ـ رقم ١١٤ح. واكتفيت بتصحيحها دون التعليق عليها خشية الإطالة.

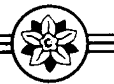
وأرجو أن يكون ما قمت به من خدمة هذه المحاضرة. سهلت الاستفادة منها، ويسرت الانتفاع بها لكل راغب ومن الله التوفيق.

وجزى الله العلامة محمد بن الحسن الحجوي خير الجزاء، وأسكنه فسيح جنانه، وأكرمنا وإياه بعفوه ورحمته ورضوانه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه محمد بن عزوز





ترجمة موجزة
عن حياة المؤلف

ـ اسمه ونسبه ومولده

هو محمد بن الحسن بن العربي بن محمد بن أبي يعزى بن عبدالسلام بن الحسن الحجوي الثعالبي الجعفري الهاشمي الزينبي.

ولد سنة ١٢٩١هـ في أسرة عالمة متفتحة، وقد ركز في ترجمته لنفسه على المراحل الأولى من حياته لما لها من بناء شخصيته.

فوالدة الحجوي من أسرة آل گُنون الشهيرة بعلمها. وهي بنت الأمين الحسين بن عبدالكبير گنون. وكان والد الحجوي كذلك عالماً، درس على أكبر علماء تازة آنذاك كالعالم علال بن كيران، ومفتيها بو حجار، وقاضيها محمد الخصاصي.

ـ في المكتب

ولما بلغ سبع سنوات، ألحقه والده بمكتب خصوصي برفقة أخوين صغيرين له، وبعض أبناء أصدقائه وبناتهم، وفي هذا المكتب، حفظ القرآن على الفقيه محمد بن عمر السودي، كما أتقن على يديه الكتابة والقراءة والتجويد بعد ذلك انتقل مع رفاقه إلى مكتب عمومي بزقاق البغل، حيث دعم حفظه للقرآن وكثير من المتون.

ـ في جامع القرويين:

وفي سن السادسة عشر التحق بجامع القرويين ودرس على شيوخها العلوم النقلية والعقلية.

واهتم بجهة ثانية بالعلوم الدنيوية التي تعلمها خارج القرويين.

ـ شيوخ الحجوي[1]:

تلقى الحجوي العلوم على أساطين علماء القرويين أمثال:

ـ محمد بن التهامي الوزاني.

---

(١) انظر تراجمهم في (**مختصر العروة الوثقى**) ط ـ دار ابن حزم.

- محمد بن عبدالسلام گنون.
- محمد بن قاسم القادري.
- أحمد بن الخياط الزُّگاري.
- أحمد بن سودة.
- عبدالسلام الهواري.
- الكامل الأمراني.

- وظائفه:

١ - الوظائف المخزنية:

- التحق بالمخزن العزيزي حيث وظف عدلاً في صوائر دار المخزن بمكناس سنة ١٩٠٠م.

ثم عيِّن في منصب أمين ديوانة مدينة وجدة سنة ١٩٠٢م وكافأه السلطان بترقيته، وجعله نائبه الرسمي في الحدود المغربية الجزائرية.

٢ - وظيفة مندوب المعارف:

في أوائل ١٣٣٠هـ /١٩١٢م بعد فرض الحماية على المغرب. تولى الحجوي وظيفة مندوب المعارف مرتين: من ١٣٣٠هـ إلى ١٣٣٢هـ واستعفي منه ليعود إليه من ١٣٣٩ إلى ١٣٥٨هـ. وبذلك تقلد هذا المنصب لمدة تزيد على العشرين سنة.

ـ هذه الوظائف المخزنية لم تُبعد الحجوي عن اشتغاله المتواصل بالعلم والمعرفة. كما أنه لم يتخل عن التجارة. فقد مارس هذا النشاط وهو مدرس في القرويين.

ـ ثناء العلماء عليه:

أثنى على علمه ومعرفته كبار علماء المغرب والمشرق. يقول فيه محمد كرد علي: «الأستاذ المحقق محمد بن الحسن الحجوي».

وأثنى عليه عبدالقادر المغربي الدمشقي فقال: «السيد السند الأجل».

وأثنى عليه العلامة الطاهر بن عاشور فقال:

«ومن أبهر الكواكب التي أسفر عنها أفقنا الغربي في العصر الحاضر، وكان مصداق قول المثل: (كم ترك الأول للآخر) الأستاذ الجليل، والعلامة النبيل، وصاحب الرأي الأصيل الشيخ محمد الحجوي المستشار الوزيري للعلوم الإسلامية بالدولة المغربية، فلقد مد للعلم بيض الأيادي. بتآليفه التي سار ذكرها في كل نادي».

وقال العلامة المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ـ رحمه الله تعالى ـ:

«العلامة النابه، البارع، الإمام فقيه المغرب الأقصى، الأصولي المتفنن الشيخ محمد بن الحسن الحجوي المغربي».

ـ تآليفه[1]:

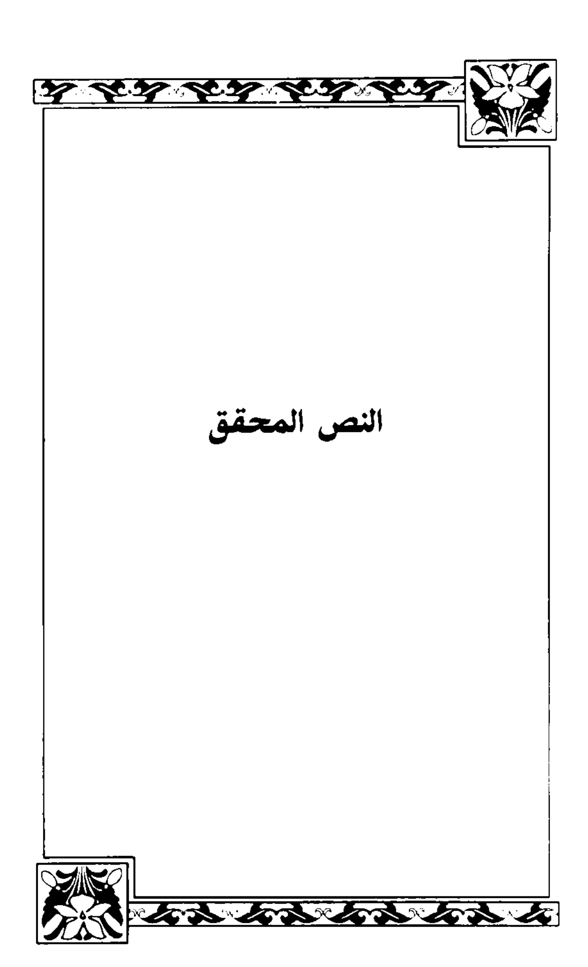
تميز الحجوي بغزارة التأليف. فقد ترك أزيد من (١١٥) مؤلفاً بين صغير وكبير.

ـ وفاته:

توفي رحمه الله تعالى سنة ١٣٧٦هـ.



(١) انظر أسماء مؤلفاته والتعريف بها في الدارسة الجادة التي أعدتها الأستاذة آسية بن عدادة في كتابها (**الفكر الإصلاحي في عهد الحماية**) ـ محمد بن الحسن الحجوي نموذجاً ـ.



النص المحقق



تعليم الفتيات
لا سفور المرأة

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

عملاً بما اقترحه علي بعض السادة الحاضرين بإلحاح سأتحدث لكم عن تعليم الفتيات المغربيات، وعن حكمه الشرعي وأدلته، والاجتماعي وحكمته، وكيف ينبغي أن يكون، وإلى أي حد ينبغي أن ينتهي.

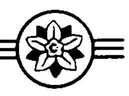
ولما كان تعليم الفتيات قد تعارض عند بعض الناس بمسألة سفور المرأة، لسبب سأبينه فيما بعد، لذلك نبهت على ذلك في أول كلمة، إزالةً للبس، وإذهاباً لظلام المخالطة.

سأتكلم على هذه المسائل بما هو رأيي الخاص،

ولست أُعبِّر عن رأي أحد غيري، وسأنطق بما هو أوفق بالشريعة الإسلامية العالية.

ثم سأختم بمسألة تحرير المرأة وسفورها، وما وقع فيه من الخلط أو التغليط، سواء من الوجهة الدينية أو الاجتماعية.





تعليم الفتيات
حكمته، أدلته

إن فكري في هذه المسألة مشهور لديكم من لدن جهرت سنة ١٣٤١هـ، بالمؤتمر الذي انعقد هنا بالرباط في محاضرتي التي سارت بها الركبان، وهو أن يُعلمن تعليماً عربياً إسلامياً، على نحو تعليم السلف الصالح نساءهم، من غير أن يؤدي ذلك إلى السفور، ورفع الحجاب الذي يأباه الدين والقرآن ومكارم الأخلاق، وحفظ النسل، لأنه مثير للشهوة، مضاد للحياء والحشمة. وقد دللت على ذلك بأدلة بسطتها في المسامرة السالفة التي طبعتها النهضة التونسية في نفس الجريدة ثم طبعتها طبعة خاصة، ونشرتها وتقبلها العالم الإسلامي شرقاً وغرباً بأكمل قَبول[1].

ويأتي لنا ترجمة ماذا تتعلم الفتاة؟ وحدود تعليمها، ففيه زيادة بيان.

---

(١) انظر هذه المسامرة في ملحق هذا الكتاب.

أدلته:

الأول: أني لم أقف في الكتاب والسنة على دليل يمنع المرأة من العلم، أي علم كان، أو يوقفها عند حد محدود في التعليم العربي الديني، بل الأصوليون صرحوا بأن المرأة يجوز أن تصل إلى رتبة الاجتهاد في علوم القرآن والسنة وما يوصل إليهما من العلوم الإسلامية حتى تكون كمالك والشافعي وأضرابهما، كما كانت عائشة الصديقية[1] التي كان أعلام الصحابة

---

(١) قال الحاكم أبو عبدالله: «فحُمِل عنها ربع الشريعة».

فهي رضي الله عنها كبيرة محدثات عصرها، ونابغته في الذكاء والفصاحة والبلاغة، وكانت حاملة لواء العلم والعرفان في عصرها، ونبراساً منيراً يضيء على أهل العلم وطلابه، وكانت تأتيها المشيخة وكبار الصحابة يسألونها عن عويص العلم ومشكله، فتجيبهم جواباً مشبعاً بروح التروي والتحقيق مما لا يتسنى إلا لمن بلغ في العلم مقاماً علياً.

قال أبو بردة بن أبي موسى الأشعري عن أبيه رضي الله عنه: (ما أشكل علينا أصحاب محمد أمر قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً).

وقال مسروق: (رأيت مشيخة أصحاب محمد الأكابر يسألونها عن الفرائض).

وقال الزهري: (لو جمع علم عائشة بعلم جميع أزواج النبي ﷺ وجميع النساء، كان علم عائشة أكثر). =

يستفتونها في المهمات، وكانت أعلم أهل زمانها بالشعر والأدب والطب وغيرها. كما وصفها عروة بن الزبير[1]

= وكانت تزورها النساء في بيتها فتعلمهن، فهذه المرأة المخزومية التي قطعت يدها تقول عنها ـ كما جاء في بعض روايات حديثها «... فكانت تأتي بعد ذلك إلى بيت عائشة تتفقه في دينها».

ولا يتسع المقام هنا لسرد مناقبها وفضلها في العلم والفقه، فهي رضي الله عنها من الراويات الفقيهات المكثرات، فقد ذكرها ابن حزم في رسالته (**أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد**) وذكرها أيضاً في رسالته (باب في تسمية من روى عنهم من أصحاب رسول الله ﷺ على مراتبهم في كثرة الفتيا فقط) وانظر أيضاً: (**الإجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة**) للزركشي.

(١) كان عروة بن الزبير يقول: «ما رأيت أحداً أعلم بالقرآن ولا بفرائضه، ولا بحلال، ولا بحرام، ولا بشعر، ولا بحديث العرب، ولا بنسب من عائشة».

وقال أيضاً: «ما رأيت أعلم بفقه ولا طب ولا شعر من عائشة»، وقال ذات يوم لها: يا أمتاه! لا أعجب من فقهك، أقول: زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس، أقول: ابنة أبي بكر وكان أعلم ـ أو من أعلم ـ الناس، ولكن أعجب من علمك بالطب، كيف هو، ومن أين هو؟ قال: فضربت عائشة على منكبه، وقالت: أبا عرية! إن رسول الله كان يسقم عند آخر عمره، فكانت تقدم وفود العرب من كل وجه، فتنعت له الأنعات، وكنت أعالجها، فمن ثم؟!».

وغيره. وكما كان بقية أزواج النبي ﷺ[1] وبنته الزهراء البتول، وكثير من الصحابيات والتابعيات. وهلم جراً، رضي الله عليهن.

نعم في غير علوم الدين ينبغي أن نقف بها عند حد التعليم الابتدائي، سدًّا للذريعة كما يأتي لنا، ونسدل عليها برقع الحجاب الشرعي وهي بنت تسع أو عشر سنين حين تصير مثار الشهوة.

الثاني: إن الإسلام ثقافة وعلم وتهذيب أخلاق، فكيف يتصور عاقل أن يمنع من تعلم المرأة ويترك

---

(١) فهذه أم المؤمنين حفصة الخطابية تعلمت الكتابة قبل زواجها بمحمد ﷺ على يد معلمة من رهط أبيها تسمى الشفاء العدوية، ولما تزوجت حفصة شجعها الرسول على إتقان القراءة والكتابة فكانت له تلميذة ثانية بعد عائشة، وقد روى هذا الخبر مصادر المؤرخين، ومنها **(فتوح البلدان)** للبلاذري، وكانت تتبع تدوين السور والآيات، وتنسيقها بعد جمعها من أفواه الحفظة الثقات ومن الصحف والرقاع التي جمعت فيها، وكان أبوها عمر يلح في جمعه خوف ضياعه ولما عمل أبو بكر في خلافته الراشدة على حفظ القرآن مكتوباً عنده تخير حفصة من نساء محمد ﷺ ليكون عندها فحفظته في صدرها وفكرها وأودعته أمانتها حتى كان عهد عثمان بن عفان، فإنه أخذ منها صحف القرآن ورقاعه، وأمر بنقلها في عدة مصاحف على أن يرد الأصل إليها ويحرق ما عداه، ثم أمر بارسال النسخ إلى الأمصار والقبائل.

نصف المتدينين به خلواً من الثقافة والفضيلة؟

وفي الصحيح: «**ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وبمحمد ﷺ، والعبد المملوك إذا أدى حق الله تعالى وحق مواليه، ورجل كانت له أمة فأدبها وأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران**»[1].

فإذا كان الإسلام يندبنا إلى تعليم الإماء، حفظاً لمجتمعنا من مفسدة جهلهن، فما ظنك بتعليم الحرائر بناتنا وأعز ما لدينا[2]. وذلك كله في تعليم ديننا وآدابنا

---

(١) أخرجه البخاري (١/١٩٠) و ٦/١٤٥ ـ و ٤٧٨ ـ و٩/١٢٦ ـ ومسلم (٢/١٨٧ ـ ١٨٩). والسيوطي في (**مطلع البدرين فيمن يؤتى أجره مرتين**).

(٢) قال ابن الحاج في (**المدخل**) ٢/٢١٠ ـ بعد أن فصل ما يجب على أولياء الأمور من تعليم ما يعولون من النساء من أحكام شرعية تتعلق بالطهارة والصلاة والصيام وغير ذلك. «فيحتاج العالم أن يتبتل لتعليم هذه الأحكام للكبير والصغير والذكر والأنثى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**النساء شقائق الرجال**» فسوى بين الزوج والزوجة والولد والعبد والأمة في هذه الصفات الجميلة، وما زال السلف رضوان الله عليهم على هذا المنهاج تجد أولادهم وعبيدهم وإماءهم في غالب أمرهم مشتركين في هذه الفضائل كلها».

ولغتنا وما ينفعهن من علوم الدنيا مما لا يكون ذريعة إلى خلع جلباب الحجاب، ولا للتصدي للسفور الممقوت المخل بالحياء والحشمة والنزاهة والطهر وصون النسل المقدس.

الثالث: قوله عليه الصلاة والسلام: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**» رواه ابن ماجه والبيهقي وابن عدي وغيرهم، قال العلقمي: جمعت له خمسين طريقاً في جزء خاص، وحكمت بصحته لغيره.

وقال العراقي: صحح بعض الأئمة طرقه، وقد ألحق بعض المصنفين بآخر الحديث: «**ومسلمة**» وليس لها ذكر في شيء من طرقه[1].

---

(١) رواه ابن ماجه في (**المقدمة**): ٨١ ـ من حديث أنس رضي الله عنه. ونقل البوصيري عن السيوطي أن النووي سئل عنه فضعفه. ونقل السيوطي تحسين المزي له. لأنه روي من طرق تبلغ الخمسين، وأقره السيوطي وأفاد أنه جمع ذلك في جزء وقد طبع.
(**الزوائد**) بهامش السنن: ٨١ ـ وأخرجه الهيثمي في (**مجمع الزوائد**) ١٢٤/١ ـ من حديث ابن مسعود عند الطبراني في (**الكبير**) و(**الأوسط**). ومن حديث أبي سعيد الخدري عند الطبراني أيضاً في (**الأوسط**). ومن حديث ابن عباس عنده في (**الأوسط**) أيضاً، ومن حديث علي عند الطبراني كذلك في (**الصغير**)، ومن حديث واثلة عنده أيضاً في (**الكبير**)، وأعل طرقه هذه كلها.

ثم أقول: إن هذه الزيادة غير محتاج إليها إذ كل حكم ورد الشريعة لمسلم أو مؤمن إلا والمسلمات والمؤمنات داخلات فيه، إما بطريق اللفظ أو القياس، لأن النساء شقائق الرجال في الأحكام إلا ما ورد فيه استثناء: كأحكام الحيض والنفاس.

الرابع: إن الأمة مجمعة على أن لا يجوز لامرىء مسلم أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه، وأن الله لا يعبد إلا بالعلم، والمرأة داخلة في ذلك بلا شك، ويجب على وليها تعليمها[1]. فإن فرط في ذلك

---

(١) قال بعض أهل العلم في حق ولي الأمر: «وينبغي له أن يتفقد أهله بمسائل العلم فيما يحتاجون إليه، لأنه جاء من تعليم غيرهم طلباً لثواب إرشادهم، فخاصته ومن تحت نظره آكد لأنهم رعيته ومن الخاصة به كما في الحديث: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**» فيعطيهم نصيبهم فيبادر لتعليمهم لآكد الأشياء في الدين أولاً وأنفعها وأعظمها، فيعلمهم الإيمان والإسلام، ويجدد عليهم علم ذلك وإن كانوا قد علموه، ويعلمهم الإحسان، ويعلمهم الوضوء والاغتسال وصفتهما والتيمم والصلاة وما في ذلك كله من الفرائض والسنن والفضائل وكل ما يحتاجون إليه من أمر دينهم الأهم فالأهم» (المدخل) لابن الحاج ٢٠٩/١.

قال الألوسي عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

«استدل بها على أنه يجب على الرجل تعلم ما يجب من=

فعلى الزوج تعليمها، وهذا من ضروريات الفقه والدين.

فهذا الدليل، والذي قبله، يستحبانْ وجوب تعليمها.

الخامس: إن النبي ﷺ، كان يجعل لهن يوماً مخصوصاً لتعليمهن وكانت تأتيه نسوة الأنصار يسألنه عن الدين، وهو في جمع من الصحابة، من غير أن

= الفرائض وتعليمه لهؤلاء، وأدخل بعضهم الأولاد في الأنفس، لأن الولد بعض من أبيه» (**روح المعاني**) ١٥٦/٢٨.

يقول ابن الحاج أيضاً في (**المدخل**) ٢١٥/٢ ـ «وقد كان في زماننا هذا سيدي أبو محمد رحمه الله تعالى، قرأت عليه زوجته الختمة، فحفظتها وكذلك (رسالة الشيخ أبي محمد بن أبي زيد رحمه الله) ونصف (**الموطأ**) للإمام مالك رحمه الله تعالى، وكذلك ابنتاها قريبان منها، فإذا كان هذا في زماننا، فما بالك بزمان السلف رضوان الله عليهم أجمعين، والعالم أولى من يحمل أهله ومن يلوذ به على طلب المراتب العلية، فيجتهد في ذلك جهده، فإنهم آكد رعيته، وأوجبهم عليه وأولاهم به).

وجاء في مقدمة كتاب (**المعلمين**) لابن سحنون: أن القاضي الورع عيسى بن مسكين كان يقرىء بناته وحفيداته.. قال عياض: فإذا كان بعد العصر دعا ابنتيه وبنات أخيه ليعلمهن القرآن والعلم: وكذلك كان يفعل قبله فاتح صقلية أسد بن الفرات بابنته أسماء التي نالت من العلم درجة كبيرة.

وروى الخشني أن مؤدباً كان بقصر الأمير محمد بن الأغلب وكان يعلم الأطفال بالنهار، والبنات في الليل».

ينكر عليهن، كما كن يأتينه في منزله الشريف لذلك[1].

ففي الصحيح، قالت عائشة: «نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء من التفقه في الدين»[2]. وقال عليه [الصلاة] والسلام: «**كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها**»[3] الحديث

---

(١) ففي (**الصحيحين**) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله! ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال: «**اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا**» فاجتمعن فأتاهن فعلمهن مما علمه الله.
وكان رسول الله ﷺ حريصاً على تعليمهن، فكان يأمرهن حتى الحيض منهن والبنت البالغة والتي قاربت البلوغ (العواتق) أن يشهدن مجامع العلم والخير، وقطع على الفقيرات منهن العذر بعدم التخلف لعدم وجود جلباب لها تخرج به.
ففي (**الصحيحين**) عن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في الفطر والأضحى: العواتق، والحيض، وذوات الخدور. فأما الحيض، فيعتزلن الصلاة، ويشهدن الخير ودعوة المسلمين، قلت: يا رسول الله! إحدانا لا يكون لها جلباب؟ قال: «**لتلبسها أختها من جلبابها**».

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم ـ باب الحياء في العلم ـ ٤٦.

(٣) أخرجه البخاري في (**صحيحه**) ٣/١١١ ـ رقم ٧١٣٨ ـ ومسلم في (**صحيحه**) (رقم ١٨٢٩).

وكان عليه [الصلاة] والسلام إذا خطب الرجال ووعظهم تقدم للنساء فخطبهن ووعظهن وعلمهن.

وهذا كله معلوم في الصحاح وكتب السير لا يمتري فيها مسلم.

وكذلك كن يأتين مجلس عمر وابن مسعود وغيرهما يسألن ويتعلمن، بل ينتقدن ويتحاججن بكل صراحة في أمور دينهن ودنياهن، لا منكر ولا مستقبح، كالمرأة التي وردت على عمر حين أمر أن يقتصر في الأصدقة على ما كان النبي ﷺ يقتصر عليه في صداق زواج بناته، بقولها: أنتبع قولك أو قول الله: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء: ٢٠] فرجع لقولها.

والمرأة التي قالت لابن مسعود لما روى حديث: «**لعن الله الواشمة والمستوشمة**»، إن زوجتك تفعل ذلك، فقال لها: لو كانت تفعل ذلك ما جامعتنا، اذهبي إليها وانظري، الحديث في أصح الصحيح[1].

---

(١) وأخرجه البخاري ومسلم في (**صحيحيهما**) عن عبدالله بن مسعود، قال: لعن الله الواشمات، والموتشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خُلق الله.
فبلغ ذلك امرأة من بني أسيد يقال لها أم يعقوب، فجاءت فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ، ومن هو في=

السادس: إن النساء شاركن في أعمال عظيمة في تأسيس الإسلام ولم يؤذن لهن فيها إلا ليكن على علم من أحكامها ودقائق مسائلها ومقاصدها.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة: ١٠].

وقال: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٢] الآية.

فما من منقبة سبق الرجال إليها، كالهجرة، والبيعة، والجهاد، والنصرة في الدين، وإعلاء شأنه ونشره والدعاية إليه، إلا وكان النساء حظهن في ذلك.

= كتاب الله؟! فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول! فقال: لئن قرأته لقد وجدته، أما قرأت ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ قالت: بلى! قال: فإنه قد نهى عنه، قالت: فإني أرى أهلك يفعلونه، قال: فاذهبي فانظري، فذهبت فنظرت، فلم تر من حاجتها شيئاً فقال: لو كانت كذلك ما جامعتها (أي: صاحبتها).

فلا مانع البتة أن تستوضح المرأة عن أمر دينها، وأن تضع ما تستشكله من مسائل علمية بين يدي علماء ربانيين مشهورين بالصلاح والتقوى والعلم، مطالبة بالحجة والبرهان، ملتزمة بأحكام الشرع وآدابه فيما يلزم من ذلك.

ويظهر من لفظ القرآن الكريم والسنة النبوية أنهن تسابقن إليه اختياراً منهن للفضيلة والمشاركة للرجل في الخير.

فليست خديجة عليها السلام، إلا كأبي بكر في سبقها للإسلام وتقديم مالها ونفسها لله تعالى.

وكم فيهن من مهاجرات للحبشة، كأم سلمة[(١)]، وأم حبيبة[(٢)] زوجتي النبي ﷺ. وأسماء بنت عُميس[(٣)]

---

(١) هي: هند بنت أبي أمية، واسمه حذيفة، ويقال: سُهيل بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، أم سلمة القرشية المخزومية - زوج النبي ﷺ.
تزوجها رسول الله ﷺ في شوال سنة اثنتين من الهجرة - بعد وقعة بدر، وبنى بها في شوال، وكانت قبله عند أبي سلمة بن عبد الأسد، والد عمر بن أبي سلمة.
روت عن النبي ﷺ، وعن أبي سلمة بن عبد الأسد، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ. - روى لها الجماعة - توفيت في ولاية يزيد بن معاوية.

(٢) هي: رملة بنت أبي سفيان، واسمه صخر بن حرب بن أمية، القرشية الأموية أم حبيبة - زوج النبي ﷺ.
هاجرت مع زوجها عُبيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة، فتنصر هناك ومات نصرانياً، فتزوجها رسول الله ﷺ، وهي هناك روت عن النبي ﷺ، وعن زينب بنت جحش.
قال أبو عبيد القاسم بن سلام: توفيت سنة أربع وأربعين.
روى لها الجماعة.

(٣) أسماء بنت عُمَيس الخثعمية، من بني خثعم ابن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث، وهي أخت ميمونة بنت الحارث=

زوج جعفر بن أبي طالب، وغيرهن.

وقد حضر لبيعة العقبة الثانية بضع وسبعون رجلاً وامرأتان. والكل بايع على الذب عن الإسلام وحمايته من أعدائه ونشر دعوته.

وإحدى المبايعات أم عمارة الأنصارية النجارية[1]، ليلة العقبة، وشهدت مشاهدة معه ﷺ،

= زوج النبي لأمها. روت عن النبي ﷺ، وروى عنها: زيد الخثعمي، وسعيد بن المسيب وعامر الشعبي وابنها عبدالله بن جعفر بن أبي طالب...

وكانت أولاً تحت جعفر بن أبي طالب، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة ثم قتل عنها يوم مؤتة، فتزوجها أبو بكر الصديق فمات عنها، ثم تزوجها علي بن أبي طالب، وولدت لجعفر عبدالله بن جعفر، وعون بن جعفر، ومحمد بن جعفر، وولدت لأبي بكر محمد بن أبي بكر في حجة الوداع، وولدت لعلي، يحيى بن علي فهم إخوة لأم. روى لها الأربعة.

(١) شهدت أم عمارة واسمها نسيبة بنت كعب الأنصارية أحداً والحديبية وخيبر وحنيناً وعمرة القضاء ويوم اليمامة.

روى عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما التفتُّ يوم أحد يميناً ولا شمالاً إلا وأراها تقاتل دوني»**.

قال الواقدي: قاتلت يوم أحد وجرحت اثنتي عشرة جراحة، وداوت جرحاً في عنقها سنة، ثم نادى منادي رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد، فشدت عليها ثيابها فما استطاعت من نزف الدم. =

وخرجت في غزوة أحد، وشهدت غزوة اليمامة بعده عليه السلام، فجرحت اثنتا عشرة جراحة، وقطعت يدها وقتل ولدها.

والخنساء تماضر، الشاعرة، كذلك حضرت الغزو وأولادها الأربعة في القادسية وحرَّضتهم على القتال فماتوا هنالك جميعاً في قصة طويلة.

وكم فيهن ممن كان يحضرن الغزوات، يداوين المرضى، ويمضدن الجرحى، كما فعلت فاطمة بنت

= ذكر الواقدي: أن نسيبة بنت كعب لما بلغها قتل ابنها حبيب بن زيد على يد مسيلمة عاهدت الله أن تموت دون مسيلمة أو تقتله، وقطعت يدها في الحرب.

وذكر ابن هشام في زيادته من طريق أم سعد بنت سعد بن الربيع قال: دخلت على أم عمارة، فقلت: يا خالة، أخبريني فقالت: خرجت ـ يعني يوم أحد ـ ومعي سقاء فيه ماء، فانتهينا إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ، فكنت أباشر القتال، وأذب عن رسول الله ﷺ بالسيف، وأرمي بالقوس حتى خلصت الجراح إلي.

قالت أم سعيد بنت سعد بن الربيع: فرأيت على عاتقها جُرحاً أجوف له غور، فقلت: من أصابك بهذا؟ قالت: ابن قمئة ـ (الإصابة ٤١٨/٤).

رسول الله بأبيها في غزوة أحد، وكما كانت أم عطية[1] وغيرها يفعلن في سائر المغازي[2] وكن يغزون حتى في

---

(١) أخرج الإمام أحمد ومسلم وابن ماجه عن أم عطية الأنصارية قالت: «غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم وأصنع لهم الطعام. وأداوي الجرحى وأقوم على الزمنى».

(٢) من خدمة المرأة المسلمة في ميادين القتال، ما أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما، تنقزان القِرب، وقال غيره: تنقلان القِرب على مُتونهما، ثم تفرغانها في أفواه القوم، ثم ترجعان، فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم.

وفي (الإصابة ٤/٤٣٣): «**حضرت أم أيمن أحداً، وكانت تسقي الماء وتداوي الجرحى، وشهدت خيبر**».

وجاء في ترجمة أم ورقة بنت عبدالله بن الحارث، ويقال لها: أم ورقة بنت نوفل: كانت تسمى الشهيدة. وكانت قد قرأت القرآن، قالت: يا رسول الله، لو أذنت لي، فغزوت معكم، فمرضت مريضكم، وداويت جريحكم، فلعل الله أن يرزقني الشهادة، قال: «**يا أم ورقة، اقعدي في بيتك، فإن الله سيهدي إليك شهادة في بيتك**». (الإصابة ٤/٥٠٥).

ومن مساهمة المرأة في الجهاد أيضاً ما أخرجه أبو داود من طريق حشرج بن زياد عن جدته أم أبيه، أنهن خرجن مع النبي ﷺ في خيبر، وفيه أن النبي سألهن عن ذلك فقلن: (خرجنا نغزل الشعر فنعين به في سبيل الله، ونداوي الجرحى ونناول السهام، ونسقي السويق).

البحر، كما وقع لأم حرام بنت ملحان[1] التي غزت قبرص مع زوجها عبادة بن الصامت، وماتت هناك، أو ببيروت عند أوبتها، وهي التي طلبت النبي ﷺ أن يدعو لها بأن تكون من أول من يغزو في البحر كما في البخاري.

فقبل الحجاب كن يداوين الجرحى ويغزون، وهن

---

(١) قال رسول الله ﷺ في بيت أم حرام بنت ملحان، فاستيقظ وهو يضحك، وقال: **«عرض علي أناس من أمتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسرة»** قالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، ثم نام فاستيقظ، وهو يضحك، فقلت: يا رسول الله، ما يضحكك؟

فقال: **«عرض علي أناس من أمتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسرة»**.

قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم.

قال: **«أنت من الأولين»**.

قال: فتزوجها عبادة بن الصامت، فأخرجها معه. فلما جاز البحر ركبت دابة، فصرعتها، فقتلتها.

قال ابن الأثير: وكانت تلك الغزوة غزوة قبرص، فدفنت فيها، وكان أمير ذلك الجيش معاوية بن أبي سفيان في خلافة عثمان في سنة سبع وعشرين، وفي **صحيح البخاري**: قال أنس رضي الله عنه: فتزوجت عبادة بن الصامت، فركبت البحر مع بنت قَرَظة ـ زوجة معاوية ـ فلما قفلت ركبت دابتها فوقصت ـ وثبت ـ بها فسقطت عنها فماتت، قال هشام رأيت قبرها ووقفت عليه بالساحل بقاقيس.

غير محجبات، وبعده كن يفعلن ذلك محجّبات. ولا تدل هذه الأعمال على رفع الحجاب أصلاً، كما أن الحجاب ليس مانعاً لهن من ذلك، وكن يحفظن القرآن وينشرن الدين، وهل كان إسلام عمر، الذي هو من أعظم أركان هيكل الإسلام، إلا على يد أخته التي وجدها تتعلم القرآن خفية في منزلها، هي وزوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، والنبي إذ ذاك مختف في دار الأرقم بن الأرقم.

وكم منهن من استشهدت في سبيل الله، كسمية والدة عمار بن ياسر التي قتلها أبو جهل بعدما عذبها عذاباً شديداً في ذات الله، وكان النبي ﷺ يمر عليها وهي تعذب هي وزوجها بمكة فيقول: «**صبراً آل ياسر**». فالمرأة أول شهيد في الإسلام[1].

---

(١) عَرَض عمار الإسلام على أبيه وأمه فأسلما، وعلمت بنو مخزوم بذلك، فلم ينكر عمار ولا أهله، بل أعلنوا ذلك في قوة، لم ير الكافرون فيها إلا عناداً وتحدياً وانقض بنو مخزوم على آل ياسر، يذيقونهم أشد العذاب، ليفتنوهم عن دينهم.

وفي بطحاء مكة، حيث ترسل الشمس شواظاً من لهب، قضى آل ياسر أياماً في عذاب مقيم، ومر النبي ﷺ وهم يعذبون، وسمع ياسراً يئن في قيوده وهو يقول: «الأمر هكذا» فنظر الرسول الأعظم إلى السماء ونادى: «**أبشروا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة**». =

السابع: أنني اكتشفت في القرآن العظيم مدرسة البنات.

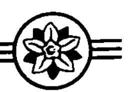
قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ...﴾ الآية [الأحزاب: ٣٥ ـ ٣٦].

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحجرات: ١١] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٢].

= وسمعها آل ياسر، فهدأت نفوسهم وسكنت، فلما أتاهم أبو جهل، كان علوهم على الحياة أعظم ما رأى الناس. وقضى ياسر في العذاب، وانقض أبو جهل على سمية فقتلها ـ فهي أول شهيدة في الإسلام ـ رضي الله عنها.

فمن هذه الآيات، وأمثالها، تكونت مدرسة البنات، أعني تعليمهن وتهذيبهن، وإثبات حقوقهن في الحياة رغماً على أنف من كابر، فما تضمنته هذه الآيات الكريمة من أسس الفضيلة وجميل الأخلاق، كاف في تهذيبهن، وما فيها من الحقوق واجب تمكينهن منها، وذلك هو تحرير لهن وكفى به.





ماذا ينبغي أن تتعلم الفتاة وحدود تعليمها؟

قدمنا أن الفتاة هي نواة العائلة، بل نواة الأمة، إذ فتاة اليوم هي أم الغد، وهل الأولاد إلا غصن من دوحتها؟ وهل الحديقة إلا مجموع تلك الدوحات وغصونها؟

والأم هي أول مدرسة يلقن عنها الولد كل تربية وتهذيب. فعن الأم يأخذ الأولاد مخارج الحروف، ومعرفة اللغة، وحسن المنطق، وفصاحة اللسان، واتساع الفكر، وكيفية التفكير، وحسن التؤدة، والنشاط في الحركة، واعتدال الأحوال، وسائر الخصال والأخلاق الحميدة أو ضدها.

وعن الأم يلقن الولد معرفة الحقائق والعقائد، ويعمر قلبه باليقين أو بالأوهام.

وعن الأم، أو المربية، يأخذ الولد كل ما في طباعها فينطبع في قلبه ولسانه، فإن كانت أخلاقاً عالية

وأفكاراً سامية وفضيلة وفصاحة ونشاطاً فذاك، وإلا انطبع على ضد ذلك.

وربما أمكن الأستاذ إصلاح ما أفسدته الأم[1]،

---

(١) اهتم الحجوي في كتاباته عن المرأة بدور الأم في تهيئة الرجال النافعين فإذا صلحت الأم صلحت الأمة، وإذا فسدت الأم فسدت الأمة، ويقدم لنا الحجوي نموذجاً صالحاً في عناية والدته وجدته به. فقال عندما ترجم لنفسه في (الفكر السامي) ٢/٣٧٧.

«ربيت في حجر سيدي الوالد والوالدة الصالحة القانتة، وكان لهما الاعتناء التام بتربيتي وتهذيبي، وإصلاح شؤوني إذ كنت أول مولود لهما، واستعانت الأم في ذلك بجدتي من قبل الأب، فكانت تحوطني، وتحنو علي أكثر من الأم بكثير، وما كانت تقدر على مفارقتي لا ليلاً ولا نهاراً، هذه السيدة الجليلة القدر، كانت على جانب عظيم من التبتل والعبادة، صوامة، محافظة على أوقات الصلاة، حافظة للسانها وجوارحها عن الخروج عن عبادة الله تعالى، مكبة على طاعته، مشفقة على الضعفاء والمساكين، وذوي العاهات، مواسية من يستحق المواساة، فكانت أفعالها وأخلاقها كلها دروساً عملية علمية تهذيبية ينتفع بها من نفعه الله من العائلة كلها، أتلقاها عنها والفكر فارغ من غيرها، فكانت كنقش في حجر، وطالما رغبتني بأنواع ما يرغب به الصبيان في القيام باكراً، وإسباغ الوضوء للصلاة، والنظافة وحفظ الثياب، والاعتناء بكتاب الله، والمحافظة على أوقات المكتب، وحب المساكين، ورحمة الضعيف، وهجر كل ما ليس يستحسن في الدين، وبث=

وقد لا يمكنه ذلك (وهل يصلح العطار ما أفسده الدهر؟!).

= روح النشاط في الحفظ والتعليم، فهي التي غرست في قلبي عشق العلم، والهيام بحفظ القرآن العظيم، واعتياد الصلاة، والارتياض على الديانة بحالها ومقالها لما كانت عليه من صالح الأحوال، ومتانة الدين من علم واعتقاد متين.

فمرآة أخلاقها وأعمالها في الحقيقة أول مدرسة ثقفت عواطفي، ونفثت في أفكاري روح الدين والفضيلة، فلم أشعر إلا وأنا عاشق مغرم بالجد والنشاط، تارك لسفاسف الصبيان، متعود على حفظ الوقت ألا يذهب إلا في ذلك، شيق إلى كل تعلم وتهذيب، لا أجد لذلك ألماً ولا نصباً، بل نشاطاً وداعية امتزجت باللحم والدم.

لذلك كان حفظي للقرآن والمتون قبل أقراني بكثير وبدون عناء كبير، بل في الختمة الأولى حفظت الكتاب العزيز تقريباً، وما زدت الثانية إلا لزيادة الضبط وحفظ الرسم عن نشاط ومحبة داخلية في الضمير المتشوق بالأمل المنساق بعاطفة حب المعالي، وحب أداء الواجب الذي لأجله خلقت حسب ما تلهمني إليه عاطفتي لا بإلزام خارجي... أذكر هذه الحلقة من حياتي، ويعلم ما أقصده من ذكرها كل من له إلمام بفن التراجم هذه الحلقة التي يغفلها كثير من الباحثين والمؤلفين منا...

إن تأثير هذه التربية الأولى على حياتي هي التي أوضحت لي أن تربية الأمهات لها دخل كبير في تهيئة الرجال النافعين. وإعداد الأمم للنهوض لذلك أرى وجوب تعليمهن وتهذيبهن =

= تعليماً يليق بديننا، ويزين مستقبل أولادنا، ويصيرهن عضواً نافعاً في هيأتنا الاجتماعية، فلا غنى لنا عن إعانتهن في تربية رجال المستقبل الذين عليهم مدار حياة البلاد، وتعليمهن فن التربية، ونظام البيت، وقواعد الصحة والدين، وحفظ القرآن أو بعضه والحساب والجغرافيا والتاريخ والعربية، والأدب الحقيقي لا الخيالي ونحو ذلك مما يعينهن على مهمتهن، ويضيء لهن الطريق...

هذه هي حياتي مع جدتي جازاها الله عني بأفضل ما يجازى به المحسنين وجازى والدتي التي كانت معينة لها في مهمتها، موافقة على كل أفكارها وأعمالها، معترفة في ذلك بفضلها.

وقدم لنا نجم الدين الغزي عالم دمشق ومحدثها صورة رائعة للمرأة ودورها في تربية أبنائها، وحرصها على تعليمهم، وذلك من خلال ترجمته لوالدته التي لم تسع لجرْ ولدها نجم الدين الغزي إلى مهنة أخواله في التجارة والتنقل بين البلدان لكسب المال، بل تركته يعيش جو أسرته، ومكنت له ولإخوته الارتقاء العلمي، وليغدو أحسن خلف لأفضل سلف، ولولا جهود هذه الأم الفاضلة لما صار نجم الدين الغزي من كبار حفاظ دمشق، ولما أسند إليه أسمى وظيفة في ذلك الوقت، وهي تدريس (**صحيح البخاري**) تحت قبة النسر بالجامع الأموي.

وتتدفق عواطف الغزي صافية رقراقة، وتنطلق كلماته شائقة حية، ومحترمة مبجلة عندما يصف رعاية والدته له ولإخوته، ونهج تربيتها الاجتماعية والعلمية القويم فيقول: «ثم ربيت بعد وفاته ـ والده ـ في حجر والدتي أنا وإخوتي، فأحسنت=

. . . .

= تربيتنا، ووفرت حرمتنا، وعلمتنا الصلوات والآداب، وحرصت على تعليمنا القرآن، وجازت شيوخنا على ذلك وكافأتهم، وقامت في كفالتنا بما هو فوق ما تقوم به الرجال مترملة علينا، راغبة من الله سبحانه في حسن الثواب والنوال، وجزيل الحظ من قوله ﷺ، **«أنا أول من يفتح باب الجنة، إلا أني أرى امرأة تبادرني، فأقول لها: ما لك؟ ومن أنت؟»** فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتام لي وقال ﷺ: **«أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة، وأومأ بيده، وامرأة آمت من زوجها ذات منصب وجمال حبست نفسها على يتاماها حتى باتوا أو ماتوا»**.

فجزاها الله عنا أحسن الجزاء، وعوضها عما تركت من أجله لوجهه في دار البقاء.

(انظر كتابي: **(جهود المرأة الدمشقية في رواية الحديث الشريف)** ـ ط ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ٢٠٠٤م.

وهذا حافظ المغرب عبد الحي بن عبدالكبير الكتاني ـ يؤلف كتاباً في مناقب وسيرة والدته الصالحة، ويُنوِّه بجهودها في تربية أبنائها، وسمى كتابه بـ **(ترقية المريدين بما تضمنته سيرة السيدة الوالدة من أحوال العارفين)** ـ مخطوط ـ.

يقول عبدالحي الكتاني: (وشبَّت الشيخة الوالدة وشابت وهي في طاعة ربها، مصلية ذاكرة، لا تفارقها سبحتها، وإن كانت في شغل فهي في عنقها، دالة على الخير عاملة به، متشوفة للوعظ، حافظة لأحاديثه، بكاءة من خشية الله...

وكانت كافية الأستاذ الوالد شؤون أولاده وتربيتهم أتم كفاية، بحيث كانت لا تنتظر منه إلا دعوة الخير، في باب كسوتهم =

. . . .

= وشهواتهم وتربيتهم على الدين والصراط السوي، حتى أنها باعت في طريق ذلك ما خلف لها والدها ووالدتها من رباع وأصول وغلال، لأنها كانت تحب أن لا تكدر على الوالد وقته لما كان عليه إذ ذاك من صغر السن، والإقبال على ربه، . . . .).

ثم قال: (ولا شك أن الدور الذي ربيت فيه، والهيئة الاجتماعية العائلية التي أوجدت بينها وتربت، تقضي عليها بالنبوغ كما هي. . .).

وهذا الفقيه العلامة أحمد سكيرج (ت ١٣٦٣هـ) يستهل فهرسته المسماة بـ (قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ) بترجمة والدته ـ فيقول: (أول شيخ لي على الحقيقة هي والدتي رحمة الله عليها).

(ولا يستنكر أحد علي في اعترافي بأن أول مدرسة أقمت في حجر حجرها بالتربية الخصوصية باعتناء ما عليه من مزيد، من أخذ بيد، وتبليغ مقصد، مع شفقة وحنانة، وعفة وصيانة، وشكري لها لازلت مطالباً به، فهي نعمة الإمداد، وسبب الإيجاد، وفي رضاها عني رضا الحق تعالى، هي والدتي رضوان الله عليها. . .).

ثم قال: (ولذلك ينبغي الاهتمام بالبنت التي ستكون أُمّاً استقبالاً لبنيها المقدر وجودهم منها، فهي أول شيخ مرب بأتم شفقة، وانعطاف طبيعي عن غير تصنع في الإحسان. . .) ثم ذكر قصيدة مطلعها:

تركوا الفتاة بحيز الإهمال وتوهموا منها صلاح الحال
أو يبتغون نجاحها بجهالة والخير لا يأتي من الجهال
هل للفتاة سوى الذي تعتاده في قومها في الحل والترحال

من كتاب: (قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ) ـ مخطوط ـ.

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت
ولا يلين إذا قومته الخشب

إن للتربية البيتية أعظم تأثير على الأولاد، أكثر من المدارس، فأصل صلاح العائلة بصلاح الأم، وفسادها بفسادها، وصلاح العائلة به صلاح الأمة. فالأم لها تأثير عظيم على فكر الولد بتعليمها وبطباعها وأخلاقها، فمن فم الأم إلى فؤاد الصبي، والتعلم في الصغر كالنقش في الحجر، ففي زمن الطفولية ينطبع فكر الصبي، وطبعه على الصور الجميلة، والأخلاق الجميلة، واللغة الجميلة، والحركات الجميلة، أو ضد ذلك. يطيب إن طابت، ويخبث إن خبثت.

وفي الصغر يأخذ قضايا مسلمة في البيت تنطبع في قراءة فكره، فلا سبيل إلى محوها، لا سيما إن كان قليل الذكاء، ضعيف التفكير والنقد.

ومن فطرة الإنسان التقليد، ومن التقليد يأتيه الخير أو الشر، فإن قلد أبويه في الخير كان ولداً صالحاً، والعكس بالعكس، وما قلدهما فيه في الصغر صعب محوه في الكبر، وكل من يشار إليه بفلسفة أو نبوغ في التفكير والنقد تجد عنده من التقليد أضعاف أضعاف ما انتقده، أو اجتهد فيه أو لاحظ عليه، وإن العقيدة إذا

تكررت على ذهن الصبي، مرة بعد مرة، وقبلها اكتسبها مَلَكة لا تزول، وقلَّما تغير الأيام منها شيئاً، سواء كانت عقائد دينية أو غيرها، كالكرم والاقتصاد في مرافق المعيشة، والادخار لوقت الحاجة، والنشاط في العمل، والرحمة بالضعفاء، وحسن الخلق، وهدو الجوارح، والشجاعة، وحب نفع البلاد، والتعلق بالحقائق، وصدق اللهجة، وترك التقليد، والمران على التفكير في الأفكار العالية، وكل مكارم الأخلاق، وإذا تلقن ضد ذلك، أو شاهده من أمه أو مرضعته، صباحاً مساءاً انطبع عليه.

ولننظر إلى دولة فرنسا اللادينية، والتي تعلم أولادها ذكراناً وإناثاً في مدارس لا دينية، ومع ذلك لا تجد فيها امرأة غير متدينة إلا نادراً، وكذلك الذكور منتشر فيهم التدين.

ولا سبب لذلك إلا تَعلُّم البنت تعلماً دينياً عند أمها، فالبنت، أو الأم، هي الداعية الأكبر للدين والناشرة له والحافظة لأمانته، إذا كانت متدينة، والعكس بالعكس. فهي الناشرة للفضيلة أو الرذيلة، وها نحن نرى أولاد العائلات الرفيعة والوضيعة ونفرق بينهم بمجرد الاجتماع والعشرة، فنعلم تأثر كل واحد بالتربية الحسنة أو ضدها، فذاك منطبع على الفضيلة، وهذا على الرذيلة، ففي البيت ابتداء كماله أو نهاية نقصانه،

وقد يشذ عن هذه القاعدة أفراد، ولكن الحكم للغالب، والمنظور إليه في تأسيس قواعد الاجتماع هو الأغلب.

فتبيّن أن تربية البنت وتعليمها ضروري، من حيث الدين والاجتماع معاً، وليس هو بكمالي كما يظن بعض من لم يمعن النظر في المسألة تأملاً ونقداً، وقد أجمع الرأي العام داخل المغرب وخارجه على أن تربية الأم هي أساس صلاح الأمة أو فسادها، ولا سبيل لأمة أن تحل المحل الآئق من الرقي إلا بتعليم البنت وتهذيبها، وبقدر تعميم رقي البنت الفكري والأخلاقي ترقى الأمة، وبقدر نقصان ذلك التعميم تنحط الأمة.

لهذا يروى أن بعض مهرة القواد سئل عن أي حصون بلاده أمنع؟

فقال: المرأة الصالحة.

وهذا لعمري حَدٌّ جامع مانع للمرأة، كاف في التنبيه على خطر أمرها ووجوب تعليمها، وحجابها وصونها، والاعتناء بها، وأن العلم آكد حاجة للإنسان في حياته بعد القوت، وبقدر انتشاره في الأمم تشتد الحاجة إليه في الذكور والإناث معاً، وهو الغاية التي يسعى إليها كل من يريد السعادتين.

إذا كان ذلك، فلا يكفي في تعليم البنت القراءة والكتابة على الطراز القديم الصعب القليل الجدوى[1]،

(١) من ذلك وضع تآليف سهلة وميسرة لتعليم البنات وللعلامة محمد بن الحسن الحجوي في هذا الموضوع محاضرة قيمة سماها: [نقد كتب الدراسة للعلوم العربية بإفريقيا الشمالية] تلاها في مؤتمر اللغة والآداب العربية الذي انعقد بتونس عام ١٣٥٠هـ/موافق ١٩٣١م ـ ومما جاء فيها:

«... فنريد ممن يؤلف أن تكون له براعة تامة، وفكر وقاد، ومقدرة واسعة، ومبدأ صحيح. وجرأة نادرة. فلا يختصر لنا ما هو مختصر أو مطول، ولا يوضح لنا ما هو محتاج لإيضاح فقط، بل يقلب وضعية العلم ويتصرف تصرف الناقد البصير، ويستخلص القواعد النحوية أو البيانية أو غيرهما استخلاصاً صحيحاً بفكر مستقل، فلا يدخل فناً في فنّ، ولا يكثر في العلم من الفلسفات الخيالية الباردة، بل يقتصر على القواعد الصحيحة النقية يفرغها في قالب عربي صميم مصقول على نسق تواليف المتقدمين بحيث تستغني في كل تأليف عن أي شرح أو تكملة بل يكون كافياً للصف الذي ألف لأجله، مفهوماً بنفسه من غير تشتيت للضمائر ولا احتياج إلى تقدير مضاف، ولا إحداث اصطلاح لكل كتاب، بل يكون أسلوب التواليف أسلوباً عربياً قحاً سالماً من كل إبهام أو إيهام أو لكنة أو تعقيد وإنما هو سرد مسائل كل فن وقواعده مستغنياً بالتنصيص عن التعويض من غير تطويل ولا زيادة على المقصود من الفن ولا اختصار مخل به...».

وحفظ يسير من القرآن أو كله من غير فهم ولا استفادة فكر، ولا يكفي تعلم صنعة أو صنائع بدون تهذيب، وهذا هو جُلُّ ما هو موجود في المدارس الآن - إلا من أراد أن يعلم ابنته شيئاً من مبادىء الفرنسية وطلب ذلك - فمدارس البنات الآن مدارس أولية، صناعية، ولم تصل إلى أن تكون ابتدائية أو تهذيبية، وأعظم سبب في ذلك عدم وجود معلمات مغربيات يعرفن شيئاً من العلم أو التهذيب غير قراءة لفظ القرآن العظيم، ولا يحسن شيئاً من العلوم الدينية المفروض علينا تعليمها للبنات عيناً، ولا حتى قراءة القرآن أو رسمه كما ينبغي، وإن هذا الشيء غير مفيد إفادة يحسن السكوت عنها، وهناك بنات يتعلمن عند الراهبات الإنكليزيات وغيرهن في الجديدة وفي مدن أخرى غيرها، وكلكم يعلم ذلك وما فيه، وخطره على الناس وعلى الدين.

قد أقبلن على تلك المدارس كلها وهي مكتظة، ولم توف بالحاجة، حيث إن الشعب المغربي ظهر فيه هُيام بالعلم وغرام بالتهذيب لأولاده وبناته، بل إقبال الشعب على تعليم الفتيات أعظم، كما يظهر من موازنة الإحصائيات.

وعليه، فالواجب أن نرقي تعليم البنات إلى قدر

أعلى من ذلك وأن نزيده نظاماً وتحسيناً حتى يحصل منه المقصود الذي بيّناه آنفاً تعليماً ابتدائياً، أدبياً، إسلامياً، صناعياً.

فيجب أن نرقي البنت ترقية صحيحة متينة تجمع بين تهذيب الأخلاق والعلم والعمل وذلك بأن:

* * *

(١)
تتعلم القراءة والكتابة والخط والرسم

نُعلم البنات، زيادة على قراءة ما تيسر من القرآن الذي تتعلمنه الآن، القراءة والكتابة والخط والرسم بطريق أسهل وأتقن طبق ما هو جار في المدارس الابتدائية للذكور وأرقى، وقد بينا، فيما سبق أن بعض أزواج النبي عليه الصلاة والسلام، كن يعرفن القراءة والكتابة، فمن بعدهن من التابعيات وأتباعهن.



(٢)
تتعلم ضروريات الدين

تعلم ضروريات الدين، من عقائد، وعبادات، ومبادىء النحو، والآداب العربية كذلك، تعليماً ابتدائياً مع المطالعة، والإملاء والإنشاء المناسب.

❋ ❋ ❋

(٣)
تتعلم الحساب والجغرافية والتاريخ ومبادىء العلوم

تعلم الحساب كذلك، وعلى الأقل قواعده الأربع، بحيث إذا مات زوجها وأصبحت وصية على أولادها، أو تصرفت لنفسها تعرف ضبط ما هي مضطرة إليه: حساباً وكتاباً لئلا يذهب مالها ومال المحاجر ضحية الجهل أو الغلط والنسيان.

وتتعلم الجغرافية والتاريخ ومبادىء العلوم، ومنها الهندسة العملية، وكل ما له علاقة بالأدب والثقافة تعليماً ابتدائياً يصيرها قادرة على التفكير الصحيح.

❋ ❋ ❋

(٤)
تتعلم الأخلاق الإسلامية

تتعلم الأخلاق الإسلامية[١] تعليماً وتخلقاً حتى تستكمل لطف الشمائل، ورقة الذوق، وجودة الحذق والفطنة، وتنمو فيها العواطف الجميلة التي هي ينبوع الخيرات، ويكمل عقلها، وتتسع معارفها، فتحسن تدبير المعيشة، وتسهيل الحياة على زوجها، ومن هم

(١) يقول العلامة محمد بن الحسن الحجوي في وصيته للشبيبة المغربية وتوجيه وجهتهم نحو رقي البلاد من حيث الأخلاق الكاملة:
«... واستعينوا على ذلك بتهذيب الأخلاق، فالأخلاق أساس كل نجاح، وفساد الأخلاق هو عين الإخفاق».
وقال أيضاً: «... وليكونوا مثال العفة والأخلاق الفاضلة، وأولها صدق اللهجة، وتقديم المصالح العامة على الخاصة، ونزاهة اليد واللسان، وحسم مادة الباطل والرشى، وترك الشبهات فضلاً عن المحرمات، وكل أمة هضمت خاصتها حقوق عامتها، كانت غنماً مهزولة في ليلة شاتية لا يرجى لمستقبلها حياة، وليكونوا مثالاً للجد والنشاط والثبات في الأعمال والنزاهة، والبراعة والدهاء، وإني أعيذهم بالله من تضييع نصيحتي هذه.

قد رشحوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

أوصاني بهذا البيت شيخي گنون كتابة ومشافهة رحمه الله مراراً...». (الفكر السامي ٢/٣٨٩ ـ ٣٩٠).

[...]، وتعرف كيف تعيش عيشة راضية هادئة، محافظة على النظام، طاهرة الذيل، منورة الباطن، زكية الأحوال، صادقة اللهجة، مع حنو قلب، وطهارة ذمة، وكفاية أمانة وإخلاص في الولاء، إلى غير ذلك مما تكون به علوقاً[١] مزيزة[٢] ذات فضيلة عالية، ونفس سامية، تترفع عن الدنايا، وتخلص لزوجها وتكون ربض[٣] البيت حقاً، فتمرن على حب المكارم التي بها تستكمل النفس كل الإنسانية. فتعرف كيف تعاشر زوجها وأقاربه وأقاربها، وكيف تسوس أولادها وما هو لنظرها، بلطف وإحسان على أساس عاطفة الحب والألف اللذين هما أساس التعارف في الحياة.

إن أخلاق المرأة وتبعلها لزوجها أنفع لها من مالها وجمالها، فحسن الخُلق مقدم عند عقلاء الناس على حسن الخَلْق ـ بفتح سكون ـ وما سعادة المرأة إلا في أخلاقها الكريمة الدائمة لا في جمالها الذاهب. فلتكن عروسة[٤] صالحة، وأماً رؤوماً، لتصلح لسيادة

---

(١) العلوق: المحبة لزوجها ـ مؤلف ـ.

(٢) المزيزة: العاقلة المغفلة عن الشر الغريرة ـ مؤلف ـ.

(٣) كل امرأة قيمة البيت فهي ربض (من تهذيب الألفاظ) ـ مؤلف ـ.

(٤) العروسة: المتحببة إلى زوجها. ـ مؤلف ـ.

البيت ورياسته، أما الجمال أو المال وحدهما فلا يؤهلانها لذلك، لا سيما مع انتشار العلم في الذكور، وإثمار المدارس ذكراناً متعلمين يوجب إثمار بنات مهذبات، والولد الذي له معارف يميل إلى زوجة تجانسه طبعاً، ولو نقص جمالها وما لها، طلباً للمناسبة، وقد امتن الله علينا بالزوجة المجانسة لنا فقال: ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

ولا تكمل هذه المودة إلا إذا كانت الزوجة قريبة من رتبة الزوج: علماً وأخلاقاً وأدباً، ولو في الجملة.



(٥)
تتعلم تدبير المنزل

تتعلم تدبير المنزل بمعناه الحقيقي، والاقتصاد والرشد في الأحوال لتقوم بما عهد إليها أحسن قيام من تدبير مملكتها.



(٦)
تتعلم تدبير الصحة والرياضة البدنية

تتعلم تدبير الصحة والرياضة البدنية، لما في ذلك من حفظ صحتها، وصحة أولادها لتربيهم جسماً وروحاً وأدباً.

❋ ❋ ❋

(٧)
تتعلم فن التربية

تتعلم فن التربية، لتحسن تربيتهم به، وتسبك منهم جواهر نفيسة تكون حلية في تاج البلاد المغربية.

❋ ❋ ❋

(٨)
تتعلم صنعة أو أكثر

تتعلم صنعة أو أكثر، كالخياطة والطرز والفنون الجميلة والطهي[1] وغير ذلك، استعداداً للطوارىء، ولا

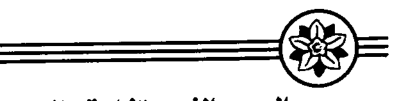
(١) الطهي: الطبخ ـ مؤلف.

سيما إذا كانت فقيرة ـ فالصنعة لها ضرورية لتكسب منها قوتها الضروري والحاجي.

فإذا حصلت الفتاة على هذا القدر من التهذيب أمكنها أن تؤدي وظيفتها، وكانت خيراً على أمتها، فإن بقيت جاهلة كانت عضواً أشل وشقاً ذا شلل، ولعله على قريب سيجيء يوم نندم غاية الندم فيه على عدم ترقية البنت، ونجدها أفلتت من يدنا جاهلة بعلومنا الصالحة لنا، فتتعلم علوماً لا تليق بنا، وتكون أعظم كارثة عاناها المغرب.

هذا القدر من التعليم الابتدائي الديني الأدبي الدنيوي هو الذي أقوله جهراً، أو أطلبه، وأحض عليه، وأعتقد أنه لا سبيل لرقينا وانتشالنا مما نحن فيه من تأخر أحوالنا، ونقصان مدارك رجالنا، وسوء نظام مجتمعنا إلا به.





السن الذي تفارق البنت المدرسة فيه

يمكن الفتاة أن تحصل على التعليم الابتدائي، قبل أوان الحجاب، إذا أدخلت المدرسة وهي بنت خمس سنين أو ست سنين، فلا تكمل السنة التاسعة من عمرها أو العاشرة إلا وهي مُحَصِّلة لذلك، فعند ذلك يسدل الحجاب وتكمل تعلمها، إن شاءت، داخل البيت إذ لكل نفس حق طبيعي في طلب الكمال وتنمية الملكة الفاضلة إلى أقصى حد ممكن، وإنما قلنا بهذا السن، لأن النبي ﷺ عقد على عائشة وهي بنت سبع، ودخل بها وهي بنت تسع سنين - بتقدم المثناة فوق - فبنت تسع سنين تكون مطيقة الزواج وتجري فيها دواعي الشهوة والتهيؤ للولادة.





تعلمها الدروس
الثانوية والعالية

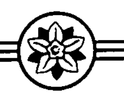
لست أرى من حاجة لبنت المغرب، الذي يرى الحجاب ديناً حقاً وشريعة محكمة، يجب حفظها، وعليه مبنى نظام العائلة، أن تدخل مدرسة ثانوية لتحوز إجازة دبلوم أو بكالوريا، أو غيره مما يفعلونه في الشرق، وإني أرى سد الذرائع هنا واجباً.

وقلما يطيب عيش رجل اقترن بمن تفوقه علماً فتزدريه، ولنقتصر بهن على التعليم الابتدائي الذي يقتصر عليه سواد الأمم الراقية، فضلاً عن أمة مثلنا لا يحصله منها إلا أقل القليل من الذكور.

لسنا بحاجة لها أن تكون عدلاً، أو قاضياً، أو كاتباً، أو طبيباً، أو مهندساً، أو محامياً، أو مدير مصنع، أو رئيس مكتب و إدارة تجارة إلخ. . . مما لم نر إلى الآن هذه الوظائف تمنح للذكور والكثير منهم عاطل، وإن كان أقل القليل، فكيف نهيء لها المرأة لتزداد لنا مشكلات العاطلات، وذلك

إخراج لها عن وظيفها الطبيعي الذي خلقت لأجله، وكل من يطلب الزيادة في تعليمها إلى درجات عالية فإنما يريد استدراجنا إلى السفور وإلى إيقاعنا في مشكلات.العاطلات وضمهن إلى العاطلين، وإلى طلب وظائف ليست إليها، والرجل عليها أقدر ـ بل الرجال لم يجدوها بعْد، وعليه، فإعطاؤها العلوم الثانوية والعالية في الرياضيات والحقوق والطبيعيات، وإخراجها بادية إلى مدارسها بعد بلوغ سن الحجاب، كما يفعلون بمصر، ورحلتها لأوربا لإتمام دروسها، تمكين لها من سلاح خطر تقلب به مجتمعنا رأساً على عقب وتصير به مرذولة ممقوتة، مجردة عن كل شرف واعتبار وفضيلة، ينظر إليها بنظر الحذر لا بنظر الود والعطف، وكل من يريد تسويتها بالرجل في الحقوق، فإنما يريد نقض شريعة الإرث الذي قسمه القرآن، ونقض سائر أحكام الشرع الإسلامي الذي به حياتنا وعليه مماتنا.

فلتترك الفتاة هذه الوظائف للرجال الذين عليهم أثقال الحياة، ولتقتصر على وظيفها الذي هو بها أليق، وأهم وظائفها القيام بتدبير المنزل لتكون فيه هي وزوجها في سعادة وطيب عيش، وتربي أولاداً صالحين للحياة، وللقيام بالواجب، فهي في منزلها كالرجل في عمله، كل له حقه من العمل، ومن النتيجة لا وَكْس ولا شطط، فالزوج أمير، وهي موازرُهُ ووزيره وعضده الأيمن ونصيره.



مدارس المعلمات

نعم، يجب علينا أن نهيء من البنات معلمات مدرسات، يعلمن بناتنا، ويهذبنهن تهذيباً عربياً إسلامياً، بالقدر الذي أشرنا إليه، وبيّناه إليكم آنفاً، وهذا أول ما ينبغي لنا أن نبدأ به في تعليم البنات، ويجب تقديمه قبل كل شيء، إذ هو الأساس الذي ينبني عليه هذا الصرح العظيم، وطالما ناديت بهذا معلناً أن الإكثار من مدارس البنات، قبل وجود مدرسة المعلمات، لا بد أن يلجئنا إلى إدخال المعلمين الذكور لتعليم البنات، وذلك الخطر العظيم، كإيقاد الفُرن بمخزن البارود.

فمدرسة المعلمات أسبق عند كل ذي لُب وغيرة ودين، فكما يجب علينا أن نبعد مدارس البنات عن مدارس البنين، وأن لا يختلطن بهن، كما أمر الله ورسوله، كذلك يجب البداءة بمدرسة المعلمات.

واعلموا أن السبب الأعظم في الأزمة الموجودة

في العالم عند جل الأمم، تسوية المرأة بالرجل في جميع ميادين الحياة كما سبق.

وما طمعت في هذه التسوية إلا بسبب نوالها الإجازات العليا والثانوية، فذلك الذي أطمعها فيما ليس لها حتى وقع ما رأيتم.

وقد انتشر هذا العمل بعد الحرب العظمى، بقصد التجربة، عند كثير من الأمم المتمدنة، وبدت بذلك ألمانيا وأمريكا، لكن تبيّن أن كثيراً من تلك الإجازات منحنها لا لنبوغ أو اجتهاد تفوقن بهما على الذكور، وإنما ذلك وقع الوصول إليه إمَّا بسبب تغلب الآراء الحزبية، لوجود أساتذة من الحزب النسائي، أو بتأثيرات أخرى من شهوات بهيمية ساقطة. وقد ظهر خطأ أكثر تلك الإجازات عندما باشرن الوظائف في الحقوق وغيرها، فقد تبين أن المرأة ضعيفة في جهازها العصبي، ليس لها من الاقتدار الذهني والعملي ما للرجل إلا في قليل منهن، والنادر لا حكم له. وكثير من الناجحات تبين أن النجاح في الحقيقة كان ممن أعانهن لأغراض سافلة، وتبين أن النبوغ والموهبة العلمية فيهن أعز من بيض النوق، وتبين أنهن أضعف أخلاقاً من الرجال بكثير، فقد جربن في الوظائف. فتبين أنه لا أسهل ولا أرخص من شراء ضمائرهن،

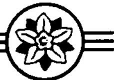
والتلاعب بذممهن، وأنه لا صبر لهن على مزاولة الأعمال الشاقة، وتبين أنهن لو تقلدن كل ما هو بيد الرجال أو أعطت لهن المناوبة لعَمَّ التأخر في أمة فعلت ذلك، بل لخربت كل الخراب، ولو أنهن ألجئن إلى المهن الشاقة لابتذلت المرأة، وامتهن شرفها حين استخدمت في المعامل والمهن الرثة والشاقة التي لا تليق بها، وجلهن أضعف عن تحمل مسؤولية تلك الأعمال.

وراجع كتاب (رفعة المرأة) للدكتور روبوتوش الفرنسي، وقد ترجم منه وزير معارف الشام سابقاً السيد كرد علي، ونشره صاحب **(الرسالة)** المصرية في عدد **(١٣٤)** وغيره. قال: (لا يرجى من تحرير المرأة، بالمعنى الذي يقصدونه، إدخال أدنى إصلاح على النظام الاجتماعي وإنما ينتج من ذلك التفلت من قيود البيت والأمومة والسقوط في إشباع نهم شهواتهن السافلة، والتذوق من كل ما تشتهيه العين، ويطمح إليه القلب الخالي من كل فضيلة وحشمة. فيقضى بذلك على الأسرة ثم الأمة، وينقرض العنصر النقي الطاهر، وتنشأ عن ذلك اضطرابات سياسية واقتصادية وأخلاقية واجتماعية، كما ظهر ذلك أواخر القرن ١٩م في معظم البلاد الممدنة ولا سيما في فرنسا، أرادوا تشريكها مع

الرجل على قدم المساواة، فأصبحت منافسة له، وخصيمة، بل مبغضة يخشى عليه بأسها، وإننا لا بد أن نصرح بأن حياة المرأة قد تبدلت تبدلاً خاصاً، بما فيه كثير من القسوة، فاضطرت للعمل في المعامل ودور التجارة، فكثر عدد العزبات المتجردات، والأيامى المطلقات، وقد اشتغلن بأمور سافلة، وسقط شرفهن...) إلى غير ذلك مما أطال فيه.

هذا وإن شريعة الإسلام، قد صانت المرأة وأعطتها حقوقها الطبيعية، وسدلت عليها حجاب الوقار والكرامة، فكل من دعاها لما سماه تحريراً (كذباً وزوراً) فقد دعاها لكشف الحجاب والسفور والفجور، وإفساد النسل الذي أمرنا الله بحفظه، وأوجبه علينا، ولتخريب شريعة القرآن، وذلك هو سبب محن كثيرة أصابت غيرنا، وقد أفسدت عليهم حياتهم، وبلبلت بالهم، فاتقوا الله يا مسلمين، وتمسكوا بالحبل المتين: الشريعة والدين، يا أمة القرآن، والله يوفقنا وإياكم لخير الدارين.





تحرير المرأة
في الإسلام دون سفور

لما ظهر من النسوة الصحابيات، ما ظهر من النصرة والنضال عن الدين، ورفع مناره، كما سبق بيانه، حررهن الإسلام مما كن فيه من الذل والهوان، واعتبرهن عضواً في المجتمع البشري، واعترف لهن بحقوق عظيمة لم تتمتع بها المرأة قبل الإسلام.

وجد الإسلام المرأة عند اليهود ممنوعة من الحقوق الدينية والاجتماعية: لا صلاة، ولا صوم، ولا تكليف، ولا علم، ولا فضيلة، وإنما هي متعة للرجل، محرومة من مزايا التقرب إلى الله بصلاة أو غيرها، مقصورة على ما فيه راحة الزوج ولو كان شقاء لها، ووجدها عند النصارى تُعد من الحيوان، ولا يظنونها من جنس الإنسان، وكم اختلف علماء أوربا: هل المرأة إنسان أم لا؟ وذلك معلوم في تاريخ القرون الوسطى.

ووجدها عند مشركي العرب، أشأم ما يرى،

وأتعس من كل ذي شقاء، حلال الدم، بل تدفن حية فراراً من العار الموصوم أو الفقر، لا حق لها، حتى في الحياة، إلا إن ظهر ذلك للرجل وشاء استبقاءها، ثم إنها، إذا أبقى عليها والدها ولم يقتلها، صارت أسيرة للزوج يتوارثها، ورثته بعده كما يورث متاع البيت.

وكانت كرقيقة تورث عند الرومان أيضاً واليونان.

ولا تزال المرأة عند الجابون، الذي هو من أرقى دول العالم المتمدن، في المنزلة المحتقرة بالنسبة للرجل، تسجد للرجل، بل تكاد تعبده من دون الله، لا تدرك معه مساواة في أي حق، كأنها مملوكة، أو من عائلة غير عائلته في انحطاط، وهو أن لا صوت لها في المجتمع، حكى لي ذلك من رحل إلى طوكيو، ووقف على أحوال القوم بالمعاينة، وهكذا هي في الصين، وكل البلاد الوثنية.

أما الإسلام، فقد قرر لها حقوقاً، وأوجب عليها حقوقاً كذلك، فسواها بالرجل في الدين، صلاة، وصوماً، وحجاً، وزكاة، واعتقاداً، وغير ذلك من أنواع التعبدات، سوى مستثنيات معلومة، كأحكام الحيض والنفاس، متابعة لما أوجبه عليها القضاء والقدر.

وصار من طبيعتها، وأعطاها كل ما منعتها منه

اليهودية والنصرانية في هذا الباب، واعترف بها إنساناً من نسل آدم، وأن لها عقلاً تكلف به، ومنحها منحة العلم، وأباح لها التبحر فيه، وأجلسها مع الرجل جنباً لجنب في كل محل شرف، سوى ما أوجبه عليها من الحشمة، والترفع عن الريبة بنعمة الحجاب، وقبل صوتها في المراجعة، والمحاجة، ومزاحمة الرجال في كل علم وكل أدب، واعتبرت أفكارها وأقوالها، كما تعتبر أقوال المجتهدين، إذا بلغت درجتهم في الاجتهاد، وقبل روايتها للدين كرواية الرجل، وأزال عنها ما كان من أمر العبودية، والضغط على النفس وعلى الفكر، وحررها تحريراً يناسب مقامها، ولم يتركها حيواناً يسخر، ولا متاعاً يورث، بل اعتبرها إنساناً مساوياً للرجل في أكثر الحقوق المناسبة لمقدرة المرأة، كالدماء والمعاملات فلها أن تملك ما يملك، وتعقد العقود، والمعاملات إذا رشدت، ولها أن تخرج لحاجتها محجبة في حشمة ووقار، ففي حديث البخاري: «**إن الله أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن**».

أما الخروج للاختلاط بالرجال، كمجالس الرقص واللهو، وغير ذلك مما يكون محل الريبة والفتنة والابتذال، فلا سبيل إليه في الشريعة الإسلامية، وكل العقلاء في العالم يعلم أنها منعت من شيء حقيق

بالمنع، وأن المنع شرف لها، وإراحة لها وللرجل من مصائب كثيرة، أدبية ومادية، التي منها: البذخ، وسرف الأزياء (الموضة)، والتبرج، ووقوع الريبة المنافية للحشمة.

نعم، اعتبر الإسلام المرأة خلقاً خلق لغير الوظيفة التي خلق لها الرجل: فالرجل خلق لأن يكون كاسباً تاعباً، والمرأة أرض مزروعة تنبت النسل وتربيه وتحسن سياسته.

فالرجل لقوته البدنية والعقلية اللتين هما بلا شك في الرجل أوفر منه في المرأة، نظراً للأغلب الأكثر، قوام على المرأة، فالرجل لميدان القتال والكر والفر والذب عن حياض المرأة وحمايتها من الحيوانات المفترسة، الحقيقية والمجازية، الرجل للفأس والمحراث، والحانوت، والسوق، والوظائف المدنية، والوظائف العسكرية، والمهن الحرة وغير الحرة، والكسب والإنفاق، وتجشم المشاق، والأتعاب، والأسفار، والأخطار، إلى غير ذلك مما هو مطوق به، أما المرأة، فالإسلام اعتبرها منبت الإنسان، فمنها تكون العائلة، وهي قرارة النطفة المكينة المؤتمنة على استيداع أمانتها، وهي بذرة العائلة، التي هي بذرة الأمة، ومربية الأولاد، ومدبرة البيت، وسائسته، ورئيسة العيال،

ومصلحة شؤون المنزل، والقيمة على الدار، والحافظة للأمانة، والكاتمة للسر، والمسلية عن الأكدار، والمريحة للزوج من كل ما يعانيه من مشاق عراك الحياة، فالزوج يعارك في معترك الحياة، خارج البيت، والمرأة توطىء له الأكناف، وتهيء له ما يستجم به لاستعادة قواه، والاستعداد للميدان، سعياً وراء سعادتها وسعادة أبنائها.

فالشريعة قسمت لها الحياة، وخصصت للرجال الأعمال الشاقة العظيمة، وملاقاة الأخطار والدواهي، لما أعطاهم الله من مزيد القوة، ولغرائز طبعهم الله عليها من الصبر على الكد، وعزة النفس، والشهامة، والشجاعة، والغيرة، والمثابرة على العمل، وخصصت الجنس اللطيف لكل لطيف يستدعي شفقة ورقة: من حفظ النسل وتنميته، والقيام بالشؤون الداخلية التي هيأهن الحق سبحانه لها بحكمته البديعة لغرائز فيهن فطرن عليها حناناً، وشفقةً، ونجاحاً في التربية، ورقة، وعاطفة، وإحساساً على الولد الضعيف الخلقة، وما لهن من الحذق في سياسة التربية والتنمية، والميل مع العواطف، فأعطى لكل واحد من النوعين ما يليق به، على مقتضى الحكمة والخلقة والفطرة الثابتة التي لا تتحول، وناموس الكون المشاهد.

والشريعة لا تكون ضد الفطرة، وفي مقابلة ما على الرجال من الأثقال، والعراك والذب والجلب والإنفاق المحتاج لمزيد من المال جعل لهم حقوقاً تمكنهم من وظيفتهم فقال: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ﴾ [البقرة: ٢١٨]. وقال: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ﴾ [النساء: ٣٤].

لذلك فرض للرجل ضعف ما للمرأة من الميراث في أغلب الفرائض الإرثية، وخصهم بالولايات والحكومات، وجعل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، والغربيون يقولون أيضاً في أمثالهم: (المرأة نصف الرجل).

وأباح للرجل إذا كانت له قوة بدنية ومالية، أن يعدد الزوجات إلى أربع فقط، محافظة على مائه أن يذهب في حرام، تكثيراً للنسل، وتحفظاً من أمراض معضلة، وتقليلاً للزنى، وحيطة لشرف الزوجات لئلا يبقين بدون أزواج، لكن بشرط أن يقدر على العدل بينهن، كما صرح به القرآن العظيم الذي يقول: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ﴾ [النساء: ١٢٩] فهو يخطرنا بخطر الموقف، ولبساطة العيش في البادية، كان أكثر يتمتع بهذا الحق هم البوادي، بل هو

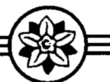
كضروري لهم، تتعاون النسوة على الحياة، كأنهن شقيقات لا ضرات، ولا تكاد تجد التعدد في الحواضر الإسلامية، ولا تكاد المرأة البدوية تجد غضاضة في الضرة، بل معونة وإرفاقاً.

على أن الإسلام وجد تعدد الزوجات غير محصور في عدد فحده في الأربع، بشرط العدل، قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣]. ثم جعل عقد النكاح بيد الزوج أيضاً، في مقابلة ما هو مكلف به، مع دفعه لصداق يكون لضروريات البيت الذي على الزوج شراؤه أو كراؤه، ولأنه صاحب النطفة، وذو النسب، والغيرة، والذب عن الحقوق والشرف، ولذلك جعلت له هذه السلطة لتمكنه من القيام بوظيفته، ولكن باعتدال وحفظ لحقوق الزوجة بحيث جعل للمرأة حق طلب العدل والنفقة والتطليق بالإعسار بها، أو بضيق الخلق وغيره من الضرر، وجعل الطلاق لها بمجرد ما ينطق به تخفيفاً لسلطته عليها، إذ لعله يكون شرس الأخلاق فتستريح منه بأيسر وسيلة، وفي الطلاق نفسه من الحكم والرفق بالزوجين ما هو مشاهد محقق، كما هو معلوم من شريعتنا السمحة الكافلة لحقوق الإنسان، والجارية على النهج الأقوم في حفظ الأنساب وتكوين العائلات الأصيلة التي منها تتكون الأمم الماجدة ذات التاريخ

الحافل بالمكارم، فخراب الأمم بخراب البيوت والذمم، وصلاحها بصلاح البيوت والعائلات، وهل البيت إلا مدينة صغيرة؟ والعائلة إلا أمة مصغرة؟ فكل عائلة جزء من الأمة، وهل يصلح الكل مع فساد الأجزاء؟

وحيث كان المسلمون متمسكين بنظامهم الإسلامي، موفين المرأة حقوقها في التعليم وغيره، سائرين على نهج القرآن والسنة لا على العوائد والمألوفات، كانت المرأة المسلمة أرقى نساء أهل الأرض، ومنها تكونت تلك الأمة الماجدة الحافلة التاريخ والتي بشرت سكان المعمور بكل المكارم، ويطول بنا المقام أن نستقصي هنا تعليل الأحكام الشرعية المتعلقة بهذه المسألة ببيت حكمتها، ولكن هذا الأنموذج كاف لأمثالكم ومقنع في الجملة وارد في نحر كل من ينتقد النظام الإسلامي المتعلق بالمرأة، وأكثر من رأي ينتقده ليس هو المرأة، بل المرأة المسلمة قابلة لنظامها حامدة مولاها عليه، وشاكرة، غير جاحدة، ولا سمعنا منها تأففاً ولا شكوى منذ ثلاثة عشر قرناً مضت. وقد بلغ الإسلام فيها شأواً في التقدم والمدنية لم تبلغه دولة من الدول بعده، تمدناً أدبياً أخلاقياً حقوقياً ونظامياً.





نضال المرأة عن حقوقها بحرية تامة زمن النبوة

كان للمرأة حرية النضال عن حقوقها زمن نزول الوحي. وتشريع الحجاب، وما بلغنا أن امرأة انتقدت الحجاب، أو تقززت منه، أو عدته مهيناً أو شيْناً لجنسها، بل قبلته بطيب خاطر وقلب رحب.

وقد كان عمر يريد أن يزاد فيه تشديد عليهن بعدم بروزهن من البيوت كلياً. فناضلت سودة، زوج النبي ﷺ، فقال لها النبي ﷺ: «**إن الله أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن**» (كما في أصح الصحيح).

ومما يدل على حريتهن في النضال والمراجعة قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة: ١] وغيرها من الآيات والأحاديث.

روى ابن عبدالبر في (الاستيعاب): جاءت أسماء بنت زيد بن السكن إلى النبي ﷺ فقالت: إني رسول من

ورائي جماعة نساء المسلمين، كلهن يقلن بقولي وعلى مثل رأيي: إن الله بعثك إلى الرجال والنساء فآمنا بك، واتبعناك، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات، قواعد بيوت، ومواضع شهوات الرجال، وحاملات أولادهم، وإن الرجال فضلوا بالجماعات، وشهود الجنائز والجهاد، وإذا خرجوا إلى الجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟ فالتفت بوجهه إلى أصحابه فقال: «**هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه؟**» فقالوا: بلى يا رسول الله، فقال ﷺ: «**انصرفي يا أسماء وأعلمي من وراءك من النساء: أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال**» فانصرفت هي وتهلل وتكبر استبشاراً بما قال لها رسول الله ﷺ.

نعم، الانتقاد إنما وقع من الرجال[1] وأقول، مع الأسف، ليسوا هم برجال أجانب بل رجال يدعون الإسلام، وولدوا في الإسلام، ولكنهم حرموا لذته،

---

(١) كالطاهر الحداد التونسي وقاسم أمين المصري الذي هتك الحجاب وأزال عن هيبة الشريعة كل جلباب، ولو أنه عاش ورأى حالة مصر الآن وما يتخبط فيه مجتمع قومه من أزمة المرأة السافرة بل السافلة، لقرع سن الندم ولات حين مندم، فاللّهم احفظ بلادنا من داهية السفور واحفظ علينا ديننا القويم (م. الحجوي).

وأشربوا في قلوبهم حب الشهرة، فراموا أن يشهروا أسماءهم في العالم، ولو بشر، فرفعوا عقيدتهم بتحرير المرأة جهلاً منهم بنظام الإسلام الذي يزعمون أنه دينهم أو عناداً، والحال أنهم أرقاء، فهم هم أرقاء، ما تمتعوا بحرية حقيقية قط، ولا فهموا لها معنى. ومع ذلك يزعمون أنهم يدافعون عن تحرير المرأة، ومتى كانوا هم أحراراً، منذ وجدوا بعد؟ ومتى كانت المرأة رقيقة في الإسلام؟ بل المرأة قانعة بما قسمه لها الإسلام من الحرية، وبما اختارته لها الشريعة من الأحكام، والحرية المطلقة مذمومة، منافية لمكارم الأخلاق والنظام، ولا بد لكل حرية من تقييد الدين والنظام والأخلاق ليقع الاعتدال، وإلا كانت فساداً وشراً مستطيراً.

ثم الرجال الأجانب، من أمم أخرى، الذين وقفوا على سر معنى الاجتماع، وما فيه من محاسن ومقابح يستحسنون نظام العائلة في الإسلام ويتمنون، لو يمكنهم أن ينالوه ولكن وجدوه بعيد المنال، بل من الأمم من يحسدنا عليه، فيغري هذه الطائفة الجاهلة[1] على نشر دعاية تحرير المرأة، التي هي دعاية السفور والمروق من حظيرة الدين الحنيف والمهيع الشريف، فتجدها تذم

---

(١) كالطاهر الحداد التونسي الذي ألف أخيراً «امرأتنا في المجتمع» وكفى في هذا التأليف بشاعة اسمه ـ (م الحجوي).

الغيرة العربية، وتزين للأمة تزييناً شيطانياً سفور المرأة، وإنما السفور ويل وثبور على المرأة نفسها، ذاهب بشرفها وعائق لها عن أداء وظيفتها، فسفور المرأة ناقص من جمالها، ومفتر لأشواق زوجها إليها وثقته بها ومُزر بقيمتها بخلاف تحجبها الذي يزيد في شرفها بما لا يكون عند ابتذالها ولو كانت أبدع النساء جمالاً وكمالاً، وفي المثل العربي: (تمنع لعلك أن تنفقا) وقال الآخر: (ولو لم تغب شمس النهار لملت) فضرر السفور على النساء ليس بأقل من ضرره على الرجال.

وها نحن نرى ما وقع في الأمم السافرة من سفالة الأخلاق، وفداحة التهتك، فترى بعض نسائهم برزن للعراء عاريات، غير كاسيات، كشفن الأطراف والصدور والثديين، بعد كشف الوجه والرقبة والساق والشعور، حتى ذهبن بكل شعور، فجعلن ذلك بالأصباغ والعطور والمصاغ، بل دخلن مغاطس الاستحمام في الشطوط البحرية مع الرجال، كتفاً لكتف، في خفة حركة ذهبت بكل بركة، ونفث كلمات فتانة، ونظرات تجلب حسرات، تتسع معانيها، على معانيها، جهراً في الطرق العامة فجلبت كل طامة، على أن هذا في غير ذوات البيوت الرفيعة وأهل الاحتشام والمروءة منهم.

فهذا ما أدى إلى السفور، ببركة تحرير المرأة، مع كثرة البذخ الذي أوجب التبرج وذهاب الثروات الطائلة

في ذلك، وخراب البيوت بإسراف النسوة في تبديل أنواع الزينة والتنميق والتنميص[1]، والتزجيج[2]، وبذل الأموال الطائلة في الأزياء والتزيين للبروز كل عشية، وكل ليلة للذهاب للمسارح وحفلات الرقص والتمثيل، فينشأ من اختلاطهن بالرجال من أنواع المصائب والمحن ما هو معلوم لديكم ومشاهد، وذلك بلا شك يثبط المرأة عن نهوضها ويشغلها عن القيام بالواجب ويبعدها عن بساطة العيش التي هي السبب الحقيقي لراحة الضمير. ويؤبقها في محن البذخ، وأكدار الحياة هي وزوجها وقرابتها، ويشتت أفكار الشباب معها، ويوقعها في الخبال والمصائب ويؤخره عن الوصول للواجب الذي يطلب منه الفراغ قلباً وقالباً، والأمم الإسلامية في راحة ضمير من ذلك كله، نساؤهم قانعات مريحات مستريحات، ورجالهم كذلك، ومن هؤلاء من فُتن ببهرجة المدنية الكاذبة، وترك المدنية الحقة، فسقط مع الساقطين.

ولو أننا استقصينا ما يقع في الممالك المتمدنة، من القتل غيلة أو انتحاراً، إما من رجل لنفسه أو لزوجته أو لها، ولأولاده ولمن تتهم به، لوجدنا أكثر تلك الجرائم مسؤوليتها على السفور الذي حار

---

(١) التنميص: أخذ شعر الجبين لينتف (م الحجوي).

(٢) التزجيج: ترقيق الحاجب (م الحجوي).

المفكرون العقلاء ذوو الغيرة منهم في مداواته أو ملافاته، وهيهات، خرج الأمر من يدهم، ودفعوا سلاحهم لجنس لطيف ضعيف، الويل من بطش الضعيف، هذه جرائم معلومة في العالم، وأكثرها إنما هو في الأمم المتمدنة، ولا تقع في الأمم الإسلامية إلا قليلاً، وتكثر فيها بكثرة شيوع السفور.

فأعظم أسبابها هو السفور، وعليه مسؤوليتها العظمى، وعلى الدعاة إليه، والناشرين لمحاسنه التي لا يستحسنها عقل سليم، الزاعمين ألا تمدن إلا به، ولا تقدم إلا بتحرير المرأة بمعنى مساواتها في كل حق حق.

ثم هذه المساواة، في أقل من لمح البصر، تتحول تدريجياً إلى تفوق المرأة على الرجل ثم تؤول إلى صيرورته في قبضتها، بل ربقتها وتحت رحمتها كما نشاهد في أوربا ومن سلك مسلكها حتى تضيق بالرجل مذاهبه، وتعجز عن عجرفتها ودلالها حيله، ورجوليته، فلا يرى مندوحة في التخلص من نكد حياة مشوشة، وقلب متقلب متضجر، وعرض مثلوب، إلا بالانتحار له وحده أو له ولعائلته.

إخواني، هذا ما يريد دعاة السفور إيقاعنا فيه لنصير في الهوا سواً، فلا بلغوا شيئاً من مرادهم، وسحقاً لهم وخزياً، وغضب الله عليهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم، بل من الجهات الست يحيق بهم،

يريدون أن يبدلوا دين الله ويتلاعبوا بالقرآن فهم في طغيانهم يعمهون، هم مأجورون للجمعيات السرية المضادة للأديان من حيث لا يشعرون أو من حيث يعلمون ويتعمدون.

إخواني، إن الإسلام أهلكته الخلافات والشنآن، وتشعب الآراء بين رجاله وتلون الأهواء، وقد شعر الإسلام بذلك وأنه سبب تأخره، فندم على ذلك لما رأى عاقبته، وأعرض عن ذلك في الجملة، فجاءت هذه الطائفة واخترعت نوعاً جديداً من الخلاف، وهو إيقاع النفرة بين الرجال والنساء، فها هي تسعى وراء إيقاد هذه الفتنة الجهنمية باسم المدنية.

إخواني، إن كنا لا نستحق لقب التمدن، وعنوان المدنية والتقدم إلا بأن نخرج رياسة العائلة وزمامها من يد من يغار ويذب ويكد إلى يد أخرى، ونظلم الرجل حقوقه ونحمله أكثر مما يطيق، ولا نجعل له أدنى امتياز يجلله بجلال المهابة والاحترام ويعوض عليه بعض ما فقد، بل تصير المرأة مسيطرة عليه، وثائرة على الشريعة التي هدمها السفور، فنحن أزهد الناس في هذه الألقاب وأسرع تملصاً منها، نحن لا نرضى إبدال لقب متدين بمتمدن، ولا ما نحن فيه من هناء العيش وراحة الضمير باسم تحرير المرأة، وفي الحقيقة استرقاق الرجل، وقلب نظام المجتمع الإسلامي، ونبذ الشريعة التي

كفلت راحتنا وهناءنا منذ ثلاثة عشر قرناً ونصف، إننا نرى فرنسا، وهي الأمة التي سبقت أمم العصر إلى الديمقراطية والتسوية في الحقوق، ثم إنها إلى يومنا هذا والنساء يطلبن حقهن في هذه التسوية لينلن حظهن من كراسي النواب والشيوخ ومناصب الوزراء، وهن ممنوعات من كل ذلك، مع أنهن من أرقى نساء العالم في فنهن بما يفقن به أكبر رجال يتقدمون عليهن فيه.

لأي شيء هذا المنع وهو المنافي للتسوية؟

ذلك لأنهن متدينات، ودولة فرنسا لا دينية تخاف بطشهن وقلبهن النظام اللاديني بسرعة لا هوادة فيها [. . . .][1] لذلك قالوا بوجوب ستر الوجه والكفين، وإن لم تكونا عورة، وذلك إذا خيفت الفتنة إلا لضرورة شهادة أو معاينة طبيب مثلاً، أمّا مع أمن الفتنة، كما إذا كانت المرأة متجلية، فلا قائل بوجوب سترهما ولا بأنهما عورة عند جمهور الأمة، وجمهور المذاهب الأربعة. إلا الإمام أحمد بن حنبل فالرواية المشهورة عنه: أن الوجه خاصة ليس بعورة، وكذا عند الشافعية، والمشهور عنه وجوب الستر على ما رأيت في بعض كتبهم، وحجتهم في وجوب الستر إذا خيفت الفتنة، ولا ضرورة، وهو سد الذريعة المعلوم لديكم أنه

---

(١) بياض في الأصل.

أصل من أصول الشريعة. وقد اعتبره أكثر الأئمة أصلاً في التشريع الإسلامي بشروطه، كما أوسعت القول في ذلك في (الفكر السامي) وليس هو خاصاً بالمالكية، كما يظن بعض الناس، والذريعة هي أمر جائز بحسب أدلة الشرع لكنه يمنع إذا أدى إلى محرم كهذا الذي نتكلم عليه إعطاء للوسيلة حكم المقصد.

على أن عجبي لا ينقضي من رجل يزعم أنه مسلم، يؤلف كتاباً إسلامياً يدعي أنه فيه جار على مهيع الدين الإسلامي ـ ملتزم بمبادئه ـ ولأنه مصلح وداع إلى إصلاح ديني اجتماعي يوافق نصوص القرآن. ثم يزعم بأن الحجاب لا أصل له في القرآن، وأن ليس في القرآن إلا حجاب أمهات المؤمنين، ثم يروم أن يكتم القرآن، أو يحرف الشريعة لتطابق هواه، والقرآن يقول في سورة الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] وفي آيات أخرى، وأحاديث صحيحة تعلمونها، وفي هذه الآية مقنع، وفي سورة النور: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ الآية إلى قوله: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

فإذا كانت المرأة تذهب سافرة فأي فائدة بقيت في نهيها عن إبداء زينتها إلا لبعلها أو أبيها؟ فإن العلة في

هذا النهي كله، أولاً وثانياً وثالثاً، ليس إلا للاحتراز من الفتنة والوقوع فيما ينافي عاطفة الحياء والحشمة، وفي الريبة وأي ريبة بعد سفور امرأة شابة حسناء فاتنة تزاحم الرجال بالمناكب وتمازجهم وتغانجهم؟ ولأي شيء خص الله القواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً بقوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍ﴾ [النور: ٦٠].

فإذا كانت القاعدة التي لا ترجو نكاحاً تلزم بعدم التبرج بالزينة، فكيف يسوغ لمسلم أن يزعم أن كل النسوة يسوغ لهن السفور الذي هو التبرج بكل مصائبه؟ وأرباب البصائر والتبصر يعلمون أنهن مهما أبيح لهن ما فيه شبهة إلا وارتكبن كل ما تسوله لهن أنفسهن من غير احتشام، والحق واضح وطريقه أبلج، ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾ [النور: ٤٦].

فقاتل الله دعاة السفور وأخزاهم، وأنزل عليهم من اللعنة ما أنزله على مفسدي الشرائع بالتبديل والقلب والتحريف.

يقولون: إن عهد السلف لم يكن فيه هذا الحجاب المضيق، ويأتون بشواذ الحكايات والقصص من كون عائشة بنت طلحة بن عبيدالله كانت تخرج بادية الوجه، وفلانة وفلانة، من أميرات، كان لهن جلباب هيبة أقوى من جلباب الثياب، ويتجاهلون قول محمد

بن عبدالله بن نمير الثقفي يشبب بزينب بنت يوسف الثقفي، أخت الحجاج:

فلم ترعيني مثل سرب رأيته
خرجن من التنعيم معتمرات
مررن بفخ ثم رحن عشية
يلبين للرحمن مؤتجرات

إلى أن قال:

يخبئن أطراف البنان من التقى
ويخرجن شطر الليل معتجرات

فهذا لعمري دليل واضح على احتفاظهن بستر ما عدا الوجه والكفين، حتى أطراف البنان، وذلك هي محرمات لعبادة في محل بعيد عن الريبة، فكيف بغيره؟ (والأبيات في زهر الآداب للحصري ـ عدد ١٥٧ج ١).

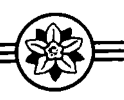
ونحن نعترف بأن الوجه والكفين ليستا بعورة(١) ولا تضييق فيهما في الإحرام للحج والعمرة، ولضرورة

---

(١) وذلك في المذهب المالكي، أما المذهب الحنبلي الذي هو مذهب الوهابية القائمين بهذه الضجة في المغرب. فهو عورة عندهم، وكذلك عند الشافعية، فلأي شيء خالفوا مذهبهم وهم المتعصبون له؟! (م الحجوي).

الشهادة والمعاملات حيث لا منع فيهما على المرأة، ولكن ذلك إذا أمنت الفتنة كما سبق، ونحن ما ألزمنا امرأة مأمونة الفتنة بستر الوجه والكفين ولكنها هي إن اختارت ذلك حياءً وحشمة وأرادت ستر ما لا تحب ظهوره، وكانت لها في ذلك راحة ضمير ووقار، فلسنا لها بمعترضين إيجاباً ولا منعاً، فاتقوا الله في أعراضكم، ونظام بيوتكم، وراحة ضميركم.

إخواني، إن سفور المرأة ومشاركتها للرجل في الحياة العامة، بل مزاحمتها في وظيفته الطبيعية الخاصة في المجتمع الإسلامي، قد سبب شروراً كثيرة على العالم لا زالت كل يوم تظهر آثارها، ما هو سبب شرور البطالة المنتشرة في العالمين، القديم والجديد، وبقاء عشرات الملايين دون شغل حتى صار العالم يتأجج كل يوم ملاحم ويتدجج حفاظ الأمن بالسلاح داخل المدن، وتنتشر كل يوم مآسي ينفطر لها قلب الجماد، وتندك الأطواد، وتتفتت الأكباد، بعائلات تموت جوعاً وعرياً، والحال أن الرخاء في المأكولات كثير والخصب في كل النواحي ماداً أطنابه، والأراضي الصالحة للزراعة تزداد امتداداً واتساعاً، وقد أخرجت كنوزها حتى إن حبوبها لتلقى في البحر، وتجعل وقوداً، ومع كثرة ما يبسط الله على عباده من وفرة الإنتاج الفلاحي والصناعي تتضاعف وتشتد أزمة البطالة.



ما هو السبب
في الأزمات العالمية؟

من أعظم الأسباب بروز النسوة من البيوت، التي هي حصون العائلات واغتصابهن وظائف الرجال فبقي الرجل من غير وظيف، سواء الوظائف الإدارية أو الاقتصادية، أو غيرها، فقد دخلت المرأة بإزالة حجابها، السوق، وملأت الدكاكين، والمعامل، والمهن التي لا تليق بهن وبقي الرجل واجماً عاطلاً.

فأي فائدة جناها العالم من تحرير المرأة، بل تسلطها وهيمنتها على الرجل؟

جنى من ذلك ما نراه من فساد نظام المجتمع، بكثرة الجرائم والبطالة والجوع والتبرج وفساد النظام والأخلاق، وكل رذيلة واقعة في العالم من الملاحم، والفتن، والقلاقل، والأزمات، ولا يظهر دواء لهذا الداء الذي تأصلت جذوره في العالم إلا بأوبة المرأة لبيتها، مأجورة غير مأزورة، تُربي أولادها، وتصلح شؤون

بيْتها، ملازمة لوظيفتها الطبيعية الشرعية وقناعتها بما قسم لها الشرع الإسلامي المعتدل المنصف الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، إن بعض الأمم المتمدنة تنظر في الرجوع لهذا إن وجدت له سبيلاً، وما أحقهم الآن أن ينظروا في مشكلتهم العظيمة، ومعضلتهم المهولة، وهو تحرير المرأة من ربقة الرجل، ولا أظن ذلك يكون سهلاً لأن المرأة الغربية احتلت ذلك المركز احتلالاً عسكرياً تام العدد والعدد، كامل التحصين مستوفياً لمعدات الدفاع بل الهجوم، ذلك أنهم عملوا بما ينقل عن أفلاطون الشهير في كتابه (الجمهورية) حيث قاس إناث الإنسان على إناث الكلاب، فقال: «أترانا نفرق بين إناث الكلاب وذكورها، فنخرج الذكور للصيد ونكلفها وحدها حراسة الأغنام، وندع الإناث في المنزل بحجة أن الحمل والإرضاع يحولان بينها وبين مشاركة الذكور في الصيد والحراسة؟».

ولعمري إن قياس البشر الذي يحتاج في طعامه إلى علاج كبير وكذلك في تمريضه وتربيته وتهذيبه وكسوته وتقويم أود لغته التي يتفاهم بها، على الكلاب التي هي في غنى عن ذلك كله لمن القياس الفاسد الذي تمجه الأذواق.

وإن الأمم التي ليس لها شرع سماوي محكم

الإحكام، تام النظام، لربما التمس لها العذر في ترك النظم القديمة التي قرر الطبيعة البشرية أحكامها إلى سفسطة أفلاطونية.

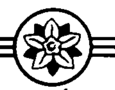
أما نحن، والحمد لله، فالأمر سهل علينا، وعلينا التمسك بالشرع الإسلامي، وبقاعدة إبقاء ما كان على ما كان، وحفظ الزمام قبل أن يفلته من أيدينا دُعاة السفور.

فتبين لكم من ذلك كله، أن المرأة ليست أسيرة، في نظر الشرع الإسلامي، ولا مسترقة أو مستعبدة إن أجريت نصوص الشريعة وحقوقها على أصلها، وأحسن في ذلك القائمون بتنفيذها.

ليست المرأة في الإسلام منحطة ولا مهانة أو مهضومة الجانب حتى تنشر دعاية بوجوب تحريرها، بل الإسلام هو الذي حررها من العبودية الحقيقية والامتهان، ولكن أقامها في الصف الذي تستحقه، بحسب خلقتها اللطيفة، ووظيفتها الطبيعية في هذا الوجود، وأعطاها من الحقوق ما يمكن أن تقوم به ويناسب حالها، نعم، الإسلام لم يجعلها مسيطرة على الرجل، وإنما جعلها رئيسة البيت وجعل الرجل مسيطراً على ما وراء البيت، ولو جعلهما رئيسين في آن واحد لفسد النظام: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾

[الأنبياء: ٢٢]. ما أهان الإسلام المرأة ولا حرمها من شيء تستحقه علماً ولا تهذيباً، بل كرمها ورفع منزلتها وأعطاها كل ما تستحق في نظر العقل السليم وعلم الاجتماع المنصف. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، ولم يقل: الرجال فقط، وسياق الآية، وآخرها، يدلان على أن المراد ما يعم الإناث، وإن كان الابن لغة الذكر.





أسباب تأخر المرأة في الإسلام وكيف كان تقدمها

نعم، أنا لا أنكر معكم أن المرأة تأخرت في الإسلام، بتأخره، فأصابها حظها من التأخر أو أكثر من حظها، وليس الذنب على الشريعة بل على المسلمين، حيث أهملوا تعليم المرأة، كأنه منكر من الأمور وفجور أو كسلاً وجهلاً، فالمرأة في القرون المتأخرة ليس هي المرأة في زمن زهرة الإسلام وعظمته، ولقد كانت عائشة أم المؤمنين، مفتية الإسلام راويته في زمنها، كما كان بقية أزواجه عليه السلام، وكن يقرأن ويكتبن، وكم من واحدة من أمهات المؤمنين كان لها مصحف تقرأ فيه، كعائشة وحفصة وأم سلمة رضي الله عنهن وقد تعلمن القراءة والكتابة على عهده ﷺ، فحفصة بنت عمر علمتها الشفاء بنت عبدالله بن عبد شمس القرشية، قال لها النبي ﷺ: **«علميها رقية النملة كما علمتها الكتابة»** ـ رواه أبو نعيم، وغيره. كما في الإصابة.

وكان ﷺ يسمر مع أزواجه يعلمهن الأدب والعلم، ويدل لذلك قصة حديث أم زرع في الصحيح والشمائل وغيرها[1].

وهكذا كانت سيرة السلف في سمرهم في بيوتهم مع أزواجهم، وبناتهم وعيالهم للتعليم والتهذيب، وبسبب ذلك انتشر العلم في نسوة الإسلام، إذ لم يكن لديهم مسارح ولا مقاصف ولا مقاهي ولا محلات التمثيل والصور المتحركة التي يزعم بعض أهل العصر أنها مهذبة، سقطة ومكراً، وهي منبع فساد الأخلاق، لتمثيل أنواع الجرائم والمآثم والغرام والخيانات، فهي التي تنبه الغافل وتعلم الجاهل.

وما كانت نساء المسلمين إلا كما وصف القرآن: ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [النور: ٢٣]. ولقد كان للنبي ﷺ اهتمام بتعليم المرأة. ففي أصح الصحيح قصة المرأة التي وهبت نفسها للرسول ليتزوجها، ولم يردها، فقام رجل وقال: زوجنيها يا رسول الله... إلى أن قال له: «**زوجناكها بما معك من القرآن**».

وفي رواية ابن عباس: «**أزوجها منك على أن تعلمها أربع أو خمس سور من كتاب الله تعالى**» وقالت

---

(١) للتوسع انظر شرح القاضي عياض لهذا الحديث في كتابه: «**بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد**».

عائشة، كما في الصحيح: «**نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء من التفقه في الدين**» وقد تقدم.

وقد انتشر تعليم المرأة في الإسلام، بانتشاره وسرعة امتداده بعد الجهل العظيم، فظهر فيه عالمات مقرئات مفتيات راويات شاعرات، ماهرات أديبات واعظات مربيات مدرسات. فقد كانت أم سعد بنت سعد بن الربيع الأنصارية مقرئة. يقصدها القراء لأخذ كتاب الله تعالى.

روى أبو داود: أن داود بن الحصين قال: كنت أقرأ عليها مع ابنها أبي موسى، وكانت يتيمة في حجر أبي بكر الصديق فقرأت عليها: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣٣] فقالت: لا، ولكن «والذين عاقدت أيمانكم» ـ الحديث.

وكانت أمهات المؤمنين معلمات مفتيات في أهم المعضلات وهذه الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية، أشعر نساء العرب، كانت صحابية جليلة، وكان لها أربع بنين فوارس حضرت معهم حرب القادسية فحرضتهم على التقدم للقتال، فتقدموا، وكل واحد أنشأ قصيدة حماسية وقاتل، إلى أن قتلوا جميعاً، وأمهم تحرضهم صابرة محتسبة، وقصتها معهم من القصص الحماسية الحقيقية العجيبة، وقد ذكرها ابن عبدالبر في (**الاستيعاب**) وغيره.

وهذه أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية، خطيبة النساء الشهيرة المتقدمة الذكر، شهدت غزوة اليرموك وعاشت بعدها دهراً طويلاً.

وهذه الشفاء بنت عبدالله بن عبدالشمس القرشية العدوية، من المهاجرات السابقات، وعاقلات النسوة، كانت تعلم النساء القراءة والكتابة على العهد النبوي لا لأنها من أهل مكة الذين لهم اعتناء معلوم بالكتابة وسبقوا إليها لضرورة التجارة التي هي أحوج المهن إليها، بخلاف أهل المدينة الذين كانوا فلاحين، ولقد كان عمر يقدمها في الرأي يرعاها ويفضلها، وربما ولاها شيئاً من أمر السوق ـ (قاله ابن سعد وابن عبدالبر وابن حجر).

وفي **(الاستيعاب)**: أن سمراء بنت نهيك الأسدية كانت أدركت النبي ﷺ، وعمرت، كانت تمر بالأسواق تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتنهى الناس من ذلك بسوطها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكون إلا عن علم، ولا يقرها عمر عليه وهي جاهلة، ثم إنها امرأة صحابية متجالة بل معمرة فلا يستدل بها الشابة التي يخشى عليها، ومنها الفتنة فتكون عين المنكر. وانظر الجزء الرابع من **(الإصابة)** و**(الاستيعاب)** ترى بعضاً من تراجم عالمات الصحابيات، وهكذا كان الذين يؤلفون في تواريخ الرجال يخصصون جزءاً للنساء

العالمات الأديبات، ومنهم من خصصهن بالتأليف كأبي الفضل أحمد بن طاهر البغدادي صاحب كتاب (**بلاغات النساء**) الذي ذكر جملة من خطيبات النساء وشاعراتهن المتوفى سنة ٢٨٠هـ (وقد طبع بمصر سنة ١٣٢٦هـ).

وأذكر لك من التابعيات حفصة بنت سيرين التي روي عنها أصحاب الصحيح كلهم، قال إياس بن قرة: (ما أدركت أحداً أفضله عليها).

ورابعة العدوية ومعاذة العدوية وغيرهن.

ولقد نبغ في زمن التابعين، ومن بعدهم، نسوة كثيرة نبوغاً فائقاً، مثل الرجال أو أكثر، فكن كعبة علم وأدب ودين وفضل وزهادة ووعظ وإرشاد، محجوجات لطلاب العلم والأدب على عهد زهرة الإسلام مثل: كريمة بنت محمد المروزية[1] التي كانت تقصد من

---

(١) هي كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزية. وهي من محدثات القرن الخامس الهجري، كانت ركناً ركيناً للحديث، وتحضر دروسها العلماء الكبار والفطاحل.

وقد حدثت بصحيح الإمام البخاري عن كبار الحفاظ والمسندين من أبرزهم: أبو الهيثم محمد بن المكي الكشميهني. وزاهر بن أحمد السرخسي، وعبدالله بن يوسف بن باموية الأصبهاني.

اعترف العلماء بفضل كريمة المروزية وسبقها في تدريس صحيح الإمام البخاري، حتى إن محدث هراة أبا ذر=

الآفاق، وتشد لها الرجال الرحال ليرووا عنها (**صحيح**

= رحمه الله تعالى قد وصى الطلبة أن لا يأخذوا صحيح الإمام البخاري إلا عنها.

وذكر الحافظ الذهبي في (سيره)، أن الخطيب البغدادي أخذ (**صحيح البخاري**) عن كريمة المروزية في أيام الموسم، وكان بقراءته عليها وهي تسمع.

وورد في (**كنز الرواية**) لأبي مهدي الثعالبي لدى ترجمة الخطيب: «قرأ (**صحيح البخاري**) بمكة في خمسة أيام على كريمة المروزية».

وحضر دروسها من الحفاظ المغاربة: جُماهر بن عبدالرحمن الطليطلي (٤٦٦هـ) ومحمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الحميدي الأندلسي (٤٨٨هـ) وعبدالعزيز بن عبدالوهاب بن أبي غالب القيرواني (٤٩٥هـ) وغيرهم من الحفاظ.

وكاتبها العلماء منهم أبو علي الجياني: يقول القاضي عياض: «قال الجياني: وكتبت إليّ كريمة بنت محمد المروزية تحدثني به ـ (**صحيح البخاري**) ـ عن أبي الهيثم».

وشهد العلماء لكريمة المروزية بضبطها لصحيح البخاري، قال أبو الغنائم النرسي: «أخرجت كريمة إلى النسخة بـ (**الصحيح**) فقعدت بحذائها، وكتبت سبع أوراق، وقرأتها، وكنت أريد أن أعارض وحدي فقالت: لا حتى تُعارض معي، فعارضت معها. قال: وقرأت عليها من حديث زاهر».

وقال الحافظ الذهبي: «وكانت تضبط كتابها، وتقابل نسخها، ولها فهم ونباهة».

أثنى على كريمة المروزية العديد من العلماء منهم الإمام السمعاني، قال أبو بكر بن منصور السمعاني، سمعت الوالد=

البخاري)، وتصحح الطلاب النسخ على نسختها، وكان مجلسها بمكة يجمع الطلاب من كل فن تلقي عليهم أنواع المعارف.

وفاطمة بنت علي بن المظفر البغدادية[1] التي

= يذكر كريمة ويقول: هل رأى إنسان مثل كريمة؟.

وقال الإمام ابن الجوزي: (وكانت عالمة صالحة).

ونعتها الحافظ الذهبي بقوله: (الشيخة العالمة، الفاضلة، المسندة) وكان المغاربة يلقبونها: (الأستاذة كريمة) و(الحرة الزاهدة) توفيت رحمه الله تعالى ـ سنة ٤٦٣هـ.

للتوسع في ترجمتها: انظر كتابنا (**صفحات مشرقة من عناية المرأة بصحيح الإمام البخاري**) ط ـ دار ابن حزم ـ.

(١) هي الشيخة العالمة المقرئة الصالحة المعمرة، أم الخير فاطمة بنت علي بن مظفر بن الحسن بن زعبل بن عجلان البغدادية ثم النيسابورية.

ولدت سنة ٤٣٥هـ، وسمعت من أبي الحسين عبد الغافر الفارسي، فكانت آخر من حدث عنه.

قال أبو سعد السمعاني: «امرأة صالحة عالمة، تعلم الجواري القرآن، سمعت من عبدالغافر جميع (**صحيح مسلم**) و(**غريب الحديث**) للخطابي.

قال الحافظ الذهبي: «حدث عنها أبو سعد السمعاني، وأبو القاسم بن عساكر، والمؤيد بن محمد، وزينب الشعرية، وجماعة» (**السير ١٩/ ٦٢٥**) توفيت عام ٥٣٢هـ. رحمه الله تعالى.

انظر ترجمتها في: (**التحبير ٢/ ٤٣٠**). و(**الأنساب ٦/ ٢٧٩**) و(**اللباب: ٢/ ٦٨**) و(**المشتبه ١/ ٣١٢**) و(**مرآة الجنان ٣/ ٢٦٠**).

كانت تلقن النساء رواية صحيح مسلم، وفاطمة بنت محمد بن سعد البغدادية[١] الواعظة، وأم مالك بنت الإمام مالك راوية **(الموطأ)** عنه وكريمة بنت عبدالوهاب القرشية مسندة الشام[٢]. ....

---

(١) فاطمة بنت سعد الخير بن محمد بن عبدالكريم الأنصارية، ولدت سنة ٥٢٢هـ، ورحل بها أبوها إلى أصبهان.

وحضرت عند فاطمة بنت عبدالله الجوزدانية **المعجم الكبير** للطبراني، ثم قدم بها بغداد، فسمعها أبا القاسم هبة الله بن الطير، وإسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي، وأبا بكر بن صهر هبة الله، وأبا غالب بن البنا وغيرهم.

روت الكثير بمصر، وقدمت دمشق مع زوجها علي بن نجا الواعظ وسمع منها بعض طلبة الحديث.

وروى عنها محمد بن إسماعيل بن أحمد المقدسي، وسمع عليها سنة ٥٩٥هـ بالقاهرة كتاب **(الضعفاء والمتروكين)** لعلي الدارقطني، وروى عنها عبدالله بن عبدالواحد علاق.

توفيت في ربيع الأول سنة ٦٠٠هـ.

للتوسع في معرفة أخبارها انظر كتابنا **(جهود المرأة الدمشقية في رواية الحديث الشريف)** ط ـ دار الفكر ـ دمشق ـ.

(٢) هي كريمة بنت عبدالوهاب بن أبي الحسن علي بن أبي الحسين الخضر بن عبدالله بن علي القرشي الزبيري الدمشقي المعروف بابن الحبقبق.

حدثت كريمة بنت عبدالوهاب عن عدة شيوخ بإفادة والدها عبدالوهاب وتفردت بإجازات متعددة من شيوخ أصبهان والعراق ودمشق. =

. . . .

= منهم أبو الوقت السجزي، وأبو علي حمزة بن علي بن هبة الله ابن الحُبوبي.

يقول الحافظ المنذري في تكملته ٣/٦٢٤: «وحدثت بالكثير، وقيل: إنها حدثت نيفاً وستين سنة، لقيتها ببيت لهيا ظاهر دمشق في الدفعة الثانية، وسمعت منها، وقد كانت أجازت لي في سنة خمس وتسعين وخمس مئة».

وقال الحافظ الذهبي في (سيره)، ٢٣/٩٣: «روت الصحيح غير مرة خرج لها زكي الدين البرزالي مشيخة في ثمانية أجزاء سمعناها».

ويقول ابن الصابوني: «وحدثت دهراً طويلاً».

حدث عنها خلق كثير منهم:

الضياء، وأبو الحجاج يوسف بن خليل الدمشقي وذكرها في (**معجمه**)، وأبو العباس ابن الظاهري، والشرف الناسخ، وفاطمة بنت سليمان، ومحمد بن يوسف الإربلي وغيرهم.

أثنى على كريمة الزبيرية الدمشقية العديد من الحفاظ الكبار منهم: تلميذها ابن الصابوني فقال: «سمعت منها كثيراً، وأخذت عنها علماً غزيراً، وكانت من النساء الصالحات إذا قرىء عليها الحديث وجاء ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام ـ ترفع صوتها بالصلاة عليه، وتسيل دموعها عند ذكره شوقاً إليه».

وقال المنذري: «الشيخة الأصيلة المسندة».

وقال الذهبي: «الشيخة الصالحة المعمرة، مسندة الشام».

وقال أيضاً: «وكانت امرأة صالحة جليلة، طويلة الروح على الطلبة، لا تمل من الرواية». =

وتقية بنت مغيث[1] الأرمنازية الشاعرة[2]، وشهدة بنت أبي

= توفيت رحمه الله تعالى: (٦٤١هـ) بدمشق ودفنت بقاسيون. للتوسع في ترجمتها، انظر كتابنا: (**جهود المرأة الدمشقية في رواية الحديث الشريف**) ط ـ دار الفكر ـ دمشق ـ.

(١) هكذا ورد اسمها في نسخة كتاب الحجوي. والصواب: تقية بنت غيث.

(٢) وهي أستاذة الحافظ السِّلفي (ت ٥٧٦هـ) ذكر الصفدي في (**الوافي بالوفيات**) ٣٥١/٧ أن عدد شيوخه يزيد على ست مئة نفس بأصبهان وقد صرح بروايته عن غير واحدة من مثل تقية بنت غيث: قال رحمه الله: «أنشدتني تقية بنت غيث بن علي الأرمنازي الصوري المدعوة ـ «ست النعم» بالثغر، ولم تر عيني شاعرة سواها».
سمع منها أبو الحسن علي بن المفضل المقدسي. قال ابن خلكان: «صحبت الحافظ أبا الطاهر أحمد بن محمد السلفي زماناً بثغر الإسكندرية، ذكرها في بعض تعليقه وأثنى عليها، وكتب بخطه: عثرتُ في منزل سكناي، فانجرح أخمصي، فشقت وليدة في الدار من خرقة من خمارها وعصبته، فأنشدت تقية المذكورة في الحال لنفسها تقول:

لو وجدتُ السبيل جُدت بخدي عِوضاً عن خمار تلك الوليدة
كيف لي أن أُقبِّل رِجلاً سلكت دهرها الطريق المجيدة

وروى العماد الأصفهاني في ترجمة السلفي الأبيات الآتية:
وكتب بعض الأفاضل إليها، وقد مدحت نفسها:

وما شرفٌ أن يمدحَ المرءُ نفسه ولكن أفعالاً تُذَمُّ وتُمدَحُ
وما كل حين يصدق المرءَ قلبُه ولا كل أصحابُ التجارة تربَحُ
ولا كل من ترجو لغيبك حافظ ولا كل من ضمَّ الوديعة يصلح =

نصر الدينوري الكاتبة[1]، وغيرهن ممن يضيق بذكرهن المجلد، كُلٌ ذلك مع الحجاب والوقوف مع آداب الشريعة الغراء. وإن أبا داود الطيالسي وحده روى عن سبعين امرأة. لقد كان بالربض الشرقي من قرطبة، أيام بني أمية مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي.

وهذا الإمام ابن حزم الظاهري يقول عن نفسه في كتابه **(طوق الحمامة)** «وهن علمنني القرآن، وروينني كثيراً من الأشعار، ودربنني في الخط» وكان في إشبيلية خمسمائة محبرة للنساء.

=

تعيب على الإنسان إظهارَ علمه أبالجد هذا منك أم أنت تَمزَحُ
فدتك حياتي قد تقدم قبلنا إلى مدحهم قومٌ وقالوا فأفصحوا
وللمتنبي أحرف في مديحه على نفسه بالحق والحق واضح
أروني فتاةً في زماني تفوقني وتعلو على علمي وتهجوا وتمدح

(١) هي شُهْدَة بنت أحمد بن الفرج بن عمر الإِبْرِيّ، وتلقب بـ «فخر النساء» سمعت الكثير، وعمرت، وصارت أسند أهل زمانها.
سمع منها خلق كثير منهم أئمة مشاهير، مثل: السمعاني، وابن عساكر، والحافظ عبد الغني، وابن قدامة، والحافظ عبد القادر الرهاوي وجماعة يطول ذكرهم، ولها مرويات كثيرة.
وكان لها خط حسن، وعاشت مخالطة لدار الخلافة، وكان لها بر ومعروف، وقاربت المئة.
توفيت سنة ٥٧٤هـ انظر: **(تكملة إكمال الإكمال)**: ٨٤ و**(مشيخة ابن الجوزي)** (٢٠٢).

وعلى كل حال لما كان الإسلام متقدماً زاهراً كانت المرأة كاتبة شاعرة، وهي محجبة، تبتدىء التعليم خارج المنزل وعندما تحتجب تكمل معلوماتها في منزلها أو تخرج لتلقيه في المساجد، محجبة، ولما وقع التأخر وقع في الجميع ولكنه كان في النساء أكثر وأظهر، وليس المراد انعدام تعلمها بل قِلّته فقط، فإنا نرى في أخريات الأيام، كان لا يزال بعض النساء عالمات، أديبات مثل السيدة حمدة بنت زيادة المكتب، من أهل وادي آش بالأندلس، نبيلة شاعرة كاتبة قال في **(الإحاطة)**: «من أهل الجمال والمال والمعارف والصون، إلا أن حب الأدب كان يحملها على مخالطة أهله مع صيانة مشهورة، ونزاهة موثوق بها.

وكالأستاذة الأديبة الشاعرة، سارة بنت أحمد بن عثمان الحلبية ثم الفاسية[١] ـ المتوفاة بفاس آخر المائة السابعة، أو أول الثامنة، كان لها شعر كثير وأدب وفير ينظر بعضه في الجذوة.

---

(١) هي سارة بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح، الحلبية، الأستاذة الأديبة الشاعر لقيها بفاس عبدالله بن علي ابن سلمون، وأجازته، وألبسته خرقة التصوف.
وخاطبت ابن رشيد الفهري وخاطبها. ودخلت الأندلس ومدحت أمراءها. =

وأم هانىء بنت محمد العبدوسي الفاسية الفقيهة المفتية، آخر هذا البيت من الفقهاء بفاس. توفيت سنة ست وثمان مائة، وأختها فاطمة كذلك، وغيرهن.

وانظر كتاب **(الدر المنثور في طبقات ربات الخدور)** للست زينب بنت علي فواز العاملية السورية[1]

= ثم قدمت على سبتة في آخر المئة السابعة فمدحت رؤساءها، وخاطبت كتابها وشعراءها، ومن شعرها تخاطب مالك ابن المرحل:

يا ذا العلا يا مالكي أنعم علي بمالك
العالم المتفنن البحر المحيط السالك
يا نفس إن جاد الزما ن به، بلغت مناك
ولطالما قد نلت ما أملت من آمالك

فأجابها مالك بن المرحل بقوله، وذلك بمدينة سبتة:

يا ندرة الدنيا لقد حزت العلا بكمالك
جمعت لك الآداب حتى إنهن كمالك
وملكت أفئدة الورى فالناس فيك كمالك
إن قايسوك بمالك ألفوك أملك مالك

انظر ترجمتها بتوسع في **(جذوة الاقتباس)** ٢/٥٢٢.

(١) أديبة مؤرخة شاعرة، من الشهيرات، ولدت سنة ١٢٧٦هـ. تعلمت في الإسكندرية، وسكنت القاهرة، انتقلت إلى دمشق فتزوجت بالصحفي أديب نظمي، كانت جميلة المنظر، عذبة الحديث. توفيت عام ١٣٣٢هـ ـ انظر ترجمتها في: **«معجم شهيرات النساء في سورية»** للدكتور نزار أباظة.

ثم المصرية. المطبوع بمصر على يد مؤلفته سنة ١٣١٢هـ. فإنها ذكرت جملة من أديبات الجنس اللطيف، متقدمات ومتأخرات. وفي جملة من أوروبيات وأمريكيات.

وانظر كتاب (**شهيرات النساء في العالم الإسلامي**) تأليف الأميرة المصرية قدرية حسين، المطبوع في مصر سنة ١٣٤٣هـ، ففيه أديبات وعالمات من هذا الجنس اللطيف الإسلامي ينبغي الوقوف على تراجمهن.

وانظر كتاب (**شهيرات التونسيات**) لسيدي حسن حسني عبدالوهاب الوزير التونسي ـ المطبوع بتونس سنة ١٣٥٠هـ.

كل ذلك يدل على أن نساء الإسلام لم يزل فيهن عروق الحياة العلمية تنبض. ولا زال الرجال يغذون تلك العروق بمادة الحياة وخصوصاً ذوي الأحلام الصائبة، والغيرة الصادقة، والشهامة الأدبية العلمية، فالعلم والفضل والأدب لم ينقطع قط من نساء الإسلام، وإنما قَل وَرق عند تأخره وقَلَّت فيهن من أسباب تأخر الإسلام.

ولقد أدركن فاساً، قبل عهد الحماية، وفي جل حوماتها دور لتعليم البنات القرآن والكتابة والقراءة،

وفيها معلمات صالحات. زيادة على دور أخرى تختص بتعليم الصنائع اليدوية الرقيقة المتنوعة (وكلكم يعلمها) تعليماً ممزوجاً بأدب المنزل، وكان في كل دَرْب منها عدد ليس بقليل بحيث نقول عن تحقيق: إن جل بنات فاس كن يتعلمن الصنائع ويتهذبن وكثير منهن يتعلمن القراءة والكتابة ولا يبقى خلواً من التعلم إلا قليل، وهكذا كانت الحواضر عندنا، كسلا والرباط ومراكش وتطوان والصويرة وغيرها من بلدان المغرب إلا ما قَل بل تعليم الصنائع كان شائعاً في جل البوادي. وها أنتم ترون إلى الآن، فيها أنواع الزرابي، ومنسوجات الصوف من أكسية، وجلاليب وبرانيس وغيرها من مصنوعات النسوة مما لا يدرج في أي قطر أفضل منه، ولم تزل الحالة كما كانت إلى الآن.

والذي حدث على عهد هذه النهضة الأخيرة، عهد مولانا المقدس مولانا يوسف ذكرها الله له فيمن عنده وقدس روحه، وهو تكثير تلك الدور وتسميتها مدارس وتنظيمها تنظيماً يساير الرقي العصري في سائر الأقطار الإسلامية وغيرها، وكان المغاربة أزهد الناس في هذه المدارس التي فتحت للبنات حتى إن إدارة المعارف، لحرصها على التعليم، فتحت واحدة بفاس نحو سنة ١٣٣٣هـ، وبقيت فارغة لم يقصدها أحد

واضطرت لغلقها، ولكن لما وقفوا في الأيام الأخيرة منذ سنة ١٣٤١هـ على حسن نوايا الحكومة حين أعربت لهم عما في هذا المشروع من المصالح الحيوية وعدم منافاتها للدين الإسلامي. وفي المسامرة التي نشرت من قبل، عند ذلك أقبلوا عليها بتسابق ونشاط. فلا تفتح مدرسة الآن إلا فهي تمتلىء آخر الشهر الأول من عمرها حتى بفاس.

وقد زادت التلميذات في هذه المدة الأخيرة، على ثلاثة آلاف، وكل يوم في الزيادة، ولم تكن سنة ١٣٤١هـ عندنا إلا ثلاثة مدارس. لا تضم إلا ١٢٥ تلميذة، ففي مدة نحو ثمان سنين تضاعف عددهن خمساً وعشرين مرة، فإقبال المغاربة على تعليم البنات مدهش وهو أعظم من إقبالهن على تعليم البنين بكثير، إذ عدد البنين الآن يتجاوز ١٥٠٠٠ فقط، والحال أنه بدأ قبل سنة ثلاثين، فعمره ينيف عن اثنين وعشرين سنة مع عمومه في المدن وأكثر القرى، بخلاف تعليم البنات فإنه لم يزل في بعض المدن خاصة.

هذا، وإن العلم والتعليم زاد ازدهاره وأينعت ثماره، وزخرت معاهده، واتسعت مدارسه ومساجده، وانتشرت في الحواضر والبوادي، وفاخرت الأرض فلكها بنجوم المدارس والنوادي على عهد سيدنا ومولانا

الإمام، وظل الله على الأنام. خليفة جده عليه السلام، مولانا محمد بن مولانا يوسف آدام الله نصره، وأعلى في الخافقين ذكره، فقد أصلح برنامج تعليم البنات، وصيره رسمياً، وفتح لهن عدة مدارس، إذ زاد العلم ارتقاءً، والإسلام نوراً وضياءً، ماله من الشغف العظيم بتعليم البنين والبنات. وذكر ذلك أمر عياني لا يحتاج لإثبات.

أدام الله لنا، وللمسلمين، عزه ونصره وأولاه من المكرمات ما هو له أهل ووفقه وسدده وأعانه، وحفظنا في أنجاله الكرام وولي عهده الهمام. آمين.

محمد الحجوي الثعالبي





ملحق
المحاضرة الرباطية
في إصلاح تعليم الفتيات بالديار المغربية

تأليف

العلاَّمة محمد بن الحسن الحجوي



الحمد لله أقدم هذا هدية للمكتبة العلمية العلية بالرباط نفع الله بها العلم حرر بالرباط 17 شوال 1343هـ
محمد الحجوي لطف الله به

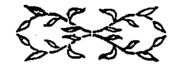
المحاضرة الرباطية

في اصلاح تعليم الفتيات بالديار المغربية

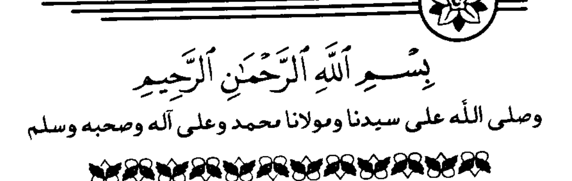
قام بها الاستاذ

محمد الحجوي الثعالبي

مندوب المعارف بالمغرب ووزيرها



طبع بمطبعة النهضة نهج الجزيرة عدد ١١ - تونس



تعليم البنات

ينبغي لإخواننا المغاربة أن يعتنوا بتربية بناتهم ليظفروا بلبانتهم ويهيئوا بنات ذوات تربية منزلية عالية ليتزوجن بمن تعلم من الأبناء فإن الابن المتخرج لا يستقيم له عيش إلا مع زوجة متخرجة. ولقد رأيت بعض الجزائريين والتونسيين من المتخرجين من المدارس من رغب عن تزوج المسلمات إلى الأوروبيات فلما بحثتهم عن السبب أجابوا بأنهم لم يجدوا نسوة عربيات مهذبات فعدم تربية البنات داع إلى بوارهن وبقائهن بدون أزواج مع طول الزمن وتغير الأحوال ودخول التعليم بين الأولاد.

❊ ❊ ❊

كيف تكون تربية البنات عندنا

الموافق لديننا وعوائدنا وقابلية أمتنا أن نربي البنات على تعلم العقائد الدينية والفقه الضروري وآداب الدين وما تيسر من القرآن العظيم، وهذا لا يخالف فيه مسلم لأن النساء كلهن شقائق الرجال في الأحكام فتعليمهن ما ذكر مع وسائله التي توصل إليه واجب بلا شك.

ومما يتأكد في حقهن تعليمهن إدارة شؤون البيت وتدبيره وتربية الأولاد والاقتصاد والحساب وقواعد الصحة كالنظافة وشيء من الصنائع اليدوية وشيء من الأدبيات العربية والأخلاق بقدر ما تكون به البنت مهذّبة قادرة على بث روح الأدب، واللطف في منزلها وأولادها لأنها هي المدرسة الأولى لأولادها فمستقبل أولادها مُتوقف على أن تكون لهم أم ذات تربية إسلامية كاملة.

ويكون تعليمهن على يد نسوة مُعلمات فاضلات ماهرات في التعليم حسنة السلوك مؤتمنات وفي محلات مخصوصة بالبنات لا مختلطات بالأولاد.

ولا نربي البنت تربية أوربية ولا نعلمها لغة أجنبية لأنا لا نريد منها أن تكون عالمة ماهرة حقوقية أو تاجرة أو مهندسة أو كاتبة ولا أن تتولى خطة القضاء أو الافتاء

أو الشهادة مثلاً، ولا أن تتربع في مجلس النواب أو في دست الوزارة كما تفعل الأمريكيات فتكشف الحجاب فذلك كله غير موافق لذوقنا ولا تنطبق عليه أصول حياتنا، وإن كان ديننا لا يمنع البنات من تلك العلوم ولكنا لسنا في حاجة إليها وضررها علينا أكثر من نفعها على إنا والله في حاجة إلى المرأة التي تعلم البنات وتهذبهن والطبيبة والقابلة المولدة والممرضة وطبيبة الأسنان مثلاً لمعالجة النساء أمثالهن وإن كان ذلك غير موافق للذوق الحاضر وللغيرة التي طبع عليها المسلمون.

هذا وإن تعليمهن القراءة والكتابة والصنائع اليدوية كان جارياً عندنا من قبل لكنه قليل وغير منتظم بل على نسق الكتاتيب السابقة فأريد من الأهالي أن ينظموه لأنفسهم بأنفسهم وأن يزيدوا عليه تعليم الضروري من علوم الدين، والتهذيب مع أن المرأة المغربية موصوفة بالحذق، والنشاط، والعمل، واللطف، والفكر على العموم حضريات وبدويات.

وبالجملة إن إصلاح كتاتيب الأبناء ينبغي أن لا تحرم منه كتاتيب البنات بما يناسبها ويناسب الذوق الوطني.



حملني على هذه المقالة ما قاله أبو هريرة رضي الله عنه كما في الصحيح (لولا آية من كتاب الله[1] ما حدثتكم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ وقوله عليه السلام فيما رواه ابن ماجه وغيره: «**من كَتَمَ عِلماً مما ينفع الله به في أمر الناس في أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من النار**»[2].

فنقول غير خفي: أنه لم يرد في نصوص الشرع القرآنية ولا الحديثية الصالحة للحجية منع النساء من العلم ولا من تعلم القراءة والكتابة أو أي علم هو مباح للنساء وهذا تمسك بالبراءة الأصلية وهي حجة عند الأصوليين ومن ادعى وجود دليل فعليه البيان بل نقول: قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ قد امتن تعالى على الإنسان بمعرفة القراءة والكتابة من غير فرق بين ذكر وأنثى ولو شاء سبحانه اختصاص الذكور لقال علم الذكران مثلاً وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ فلم

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم ـ باب حفظ العلم ـ حديث: ١١٨. وفي مواضع أخرى من صحيحه.

(٢) حديث ضعيف. أخرجه ابن ماجه في مقدمة سننه. (٢٦٥).

يفرق في الإنسان بين ذكر وأنثى لأن الإنسان يدخل فيه الذكر والأنثي بإجماع، قال في إرشاد الفحول في المسألة الحادية عشرة من الباب الثاني: إن ما يعم الذكور والإناث بوضعه وليس لعلامة التذكير والتأنيث فيه مدخل كالناس والإنس والبشر يدخل فيه كل منهما إجماعاً. ونحوه في شرح الرحموت وقد علمت أن الفصيح من اللغة أنه لا يقال إنسانة بل لحنوا من قالها وقد اتفقوا على دخول المرأة في نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الآية هذا في آية الرحمن وأما آية علم بالقلم ففيها حذف المعمول أيضاً وهو مما يؤذن بالعموم عند البيانيين وإن لم يذكرها أكثر أهل الأصول، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ قال ابن العربي في الأحكام: أمر الله أزواج رسوله بأن يخبرن بما أنزل الله من القرآن في بيوتهن وما يرين من أفعال النبي ﷺ وأقواله فيها حتى يبلغ ذلك للناس فيعملوا بما فيه ويقتدوا به وهذا يدل على قبول خبر الواحد من النساء والرجال في الدين إلى أن قال ولو كان الرسول لا يعتد بما يعلمه أزواجه ما أمرن بالإعلام بذلك ولا فرض عليهن تبليغه ولذلك قلنا بجواز قبول خبر بسرة في إيجاب الوضوء من مس الذكر لأنها روت ما سمعت وبلغت ما وعت ولا يلزم

أن يبلغ ذلك الرجال كما قال أبو حنيفة حسبما بيناه في مسائل الخلاف وحققناه في أصول الفقه ا هـ. وقال عليه السلام: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[١] قال ابن سلطان: وفي رواية «**ومسلمة**» قال السندي في حاشية ابن ماجه قوله على كل مسلم: أي مكلف يعني فيعم الذكر والأنثى وقال السخاوي: وزاد بعض المصنفين ومسلمة ولا ذكر لها في طرقه وإن كانت صحيحة المعنى[٢] اهـ. وقد جمع العلقمي لهذا الحديث خمسين طريقاً فهو صحيح لغيره بل قال العراقي: إن بعض طرقه صحيح لذاته. وفي صحيح مسلم والأربعة: «**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة**» ومعلوم أن من من صيغ العموم تتناول الذكر والأنثى على مذهب الجمهور. ومثله حديث لأبي داود والترمذي وابن ماجه وصححه ابن حبان «**إن العلماء ورثة الأنبياء لم يرثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**» وحديث «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**» إلى غير ذلك وفي **(البخاري)** «باب تعليم الرجل أمته وأهله» وساق حديث: «**ثلاثة يؤتون**

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه ٨١/١، وكشف الخفاء ٤٣/٢، وصحيح الجامع الصغير، رقم ٣٩١٣.

(٢) المقاصد الحسنة: ٣٢٧.

أجرهم مرتين وذكر منهم رجلاً كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تدأيبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران»[1]، وفيه أيضاً باب عظة الإمام النساء وتعليمهن وساق حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خرج ومعه بلال فظن أنه لم يسمع النساء فوعظهن وأمرهن بالصدقة الحديث.

فالحديث الأول يدل على أن المكلف مطالب بتعليم أمته بالنص وأهله بالقياس كما في **(فتح الباري)** وأن المرأة المهذبة المعلمة مغبوط في تزوجها مرغب فيه بخلاف الجاهلة فإنها مرغوب عنها والثاني يدل على أن الإمام مطلوب بأن يتولى أمر تعليمهن كما في **(فتح الباري)** أيضاً ويدل له ما في **(البخاري)** أيضاً ونصه:

باب هل يجعل للنساء يوماً على حدة في العلم وساق حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قال النساء للنبي ﷺ غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظن وأمرهن الحديث» ويأتي ما استنبطه القرطبي من هذا الحديث في النصوص الفقهية. وقد أشار الغزالي في الإحياء وعياض في الشفا في القسم الرابع إلى أن تعلم الكتابة إذ كان الولد لا يحفظ وسيلة إلى

---

(١) تقدم تخريجه.

تعلم العلم فتعطى حكم مقصدها. وروى أبو داود بسند صحيح مرفوعاً: «**من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة**» وفي لفظ ابن ماجه: «**من كان له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة**» قال العزيزي في قوله فأدبهن ما نصه: بآداب الشريعة وعلمهن ا هـ. بلفظه. وروى الترمذي والحاكم عن عمرو بن سعيد بن العاص «**ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن**» وقد دخل فيه البنون والبنات جميعاً. ومن المعلوم في الدين أن النساء شقائق الرجال في الأحكام من طهارة وصلاة وصوم وحج وزكاة وغيرها إلا في أحكامهن الخاصة بهن كالحيض والنفاس مثلاً وقد جاءت شريعتنا بتكليف النساء بعين التكاليف التي على الرجال من المعتقدات التي لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يعرفها ويعتقدها والعبادات والمعاملات وقد قرنهن الله تعالى مع الرجال فقال جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ الآية إذ كلفهن بمثل ما كلف به الرجال في العبادات والمعاملات إلا ما استثني بخلاف شريعة بني إسرائيل فإنها جعلت المرأة خادمة للبيت ومتعة الزوج لا حظ لها في العبادة ولا عليها تكاليف شرعية.

أما الشريعة الإسلامية فقد جعلت المرأة كالرجل في التكاليف والأحكام ولم تحرمها من الخير والأجر قال تعالى: ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ الآية ولا شك أن العلم من أهم ما يدخل في العمل الصالح بدليل إنه من الأعمال التي لا تنقطع بالموت كما في الصحيح وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ﴾ الآية - ابن عاشر - أول واجب على من كلفا - وهو شامل للأنثى كالذكر ولا سبيل لمعرفتهن بتلك الأحكام والتكاليف التي كلفن بها إلا بتعليم العلم وطلبه وذلك دليل على طلب تعلمهن قال تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ وكيف التوقي منها مع الجهل بالدين وعقائد المسلمين وقال ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته**» وأول رعية المرء زوجته وبنته وأخته وأمته ونحوهن وإذا لم يسأل عن العلم والجهل والعقائد والدين والأخلاق والصلاة والصوم ونحوهن فعن أي شيء يسأل؟ وقال عليه السلام: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع**»[1] ولم يفرق في تلك الأحكام بين ذكر وأنثى لأن لفظ الأولاد لغة يصدق عليهما معاً ولو شاء خصوص

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) قال الألباني: حديث حسن.

انظر: (صحيح الجامع الصغير) ١٠٢٢/٢ و(صحيح أبي

الذكور لقال أبناءكم بل لو ورد بهذا اللفظ لكان متناولاً للبنات بدليل آخر والاستدلال على مثل هذا مما لا معنى له لأنه معلوم ضرورة أن النساء كالرِجال في الأحكام إلا ما استثني وقد صرح بكونه ضرورياً في الدين صاحب متن مُسَلَّم الثبوت فقف عليه.



تعلم الصحابيات
من أزواجه وقرابته عليه السلام

وقد وقع تعليمهن في الصدر الأول فقد كانت عائشة الصديقة أم المؤمنين رضي الله عنها من أعلم أهل زمانها رجالاً ونساء وكان أعيان الصحابة رضوان الله عليهم وعلماؤهم يأتونها للأخذ عنها من وراء حجاب كعمر بن الخطاب وابنه وأبي موسى وأبي هريرة وابن عباس وغيرهم رضوان الله عليهم قال عروة: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة رضي الله عنها وقد ورد أنها روت لنا نصف الدين، فلولا تعلم النسوة لضاع نصف الدين، وكان لها مصحف خاص بها كما يدل لذلك ما رواه مالك في (**الموطأ**) وابن جرير عنها في الصلاة الوسطى أنه كان مكتوباً في مصحفها

«وهي صلاة العصر» وكانت تفتي باجتهادها ولو جمعت فتاويها لكانت مجلداً ضخماً، وكذلك أم سلمة رضي الله عنها لو جمعت فتاويها لكانت مجلداً صغيراً قاله ابن حزم.

فيجوز للمرأة أن تتبرز في العلوم إلى أن تبلغ درجة الاجتهاد كما صرح به في جمع الجوامع وغيره بل ظاهر جمع الجوامع أن ذلك متفق عليه بدليل سابقه ولاحقه وسلموه ولو لم نأت على تعليم المرأة إلا بهذا النص لكان كافياً في الحجية فإن الاجتهاد هو الرتبة التي ليس وراءها مرمى حتى قيل بانقطاعه إذ يشترط فيه معرفة ثمانية علوم على ما في المستصفى ومعرفة المظان من الكتاب والسنة والإجماع وغير ذلك، وهذا كله لا يتيسر في وقتنا هذا إلا بالاطلاع والممارسة للعلوم واستحضار كتب مهمة ولا يعقل ذلك الآن إلا بمعرفة الكتابة والقراءة.

وغير خفي أن الاجتهاد فرض كفاية على الأمة فيكون ذلك فرض كفاية في حق الرجال والنساء فتأمل ذلك وكن منصفاً.

وإذا كانت تبلغ بفضل الله النبوءة على قول كثير من أهل العلم مثل مريم وأم موسى وغيرهما حتى أوحي إليهن فكيف لا تبلغ درجة الاجتهاد؟ قال ابن العربي في الأحكام: وروي عن محمد بن جرير الطبري إمام الدين أنه يجوز أن تكون المرأة قاضية ولم يصح

ذلك عنه ولعله كما نقل عن أبي حنيفة أنها تقضي فيما تجتهد فيه وليس بأن تكون قاضية على الإطلاق ولا بأن يكتب لها منشور بأن فلانة مقدمة على الحكم إلا في الدماء والنكاح وإنما ذلك كسبيل التحكيم أو الاستنابة في القضية الواحدة بدليل قوله ﷺ: «**لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة**»[1] وهذا هو الظن بالإمامين وقد تناظر في هذه المسألة القاضي أبو بكر بن الطيب المالكي مع أبي الفرج بن طراز بمجلس عضد الدولة ببغداد فقال الثاني: يجوز لها أن تحكم لأن الغرض من الأحكام التنفيذ وسماع البينة والفصل بين الخصوم وذلك ممكن منها كإمكانه من الرجل ورده ابن العربي بأنها لا يجوز لها أن تبرز للمجالس وتفاوضهم مفاوضة النظير لنظيره اهـ لدى قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ فهذا دليل على أنها وإن منعت من الولاية فلا تمنع من العلم وأنه كمال فيها.

وهذه حفصة بنت عمر بن الخطاب أم المؤمنين رضي الله عنها روي عنها كثير من العلم والدين وكان لها مصحف خاص أيضاً كما في الموطأ وكانت أمينة على الدين كله فإن والدها رضي الله عنه لما مات ترك عندها المصحف الذي جمع أيام أبي بكر الصديق

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن ـ حديث: ٧٠٩٩.

رضوان الله عليه فكان عندها حتى أخذه عثمان ونسخه والقصة في أصح الصحيح وناهيك بها خصلة فإن عمر ائتمنها على الدين كله وروح الإسلام دون أعلام الصحابة وكبارهم على وفورهم.

وكذلك صفية وأم سلمة رضي الله عنهما كان لكل منهما مصحف كما يدل لذلك فتح الباري وما اتخذن المصاحف إلا ليقرأن فيها ويحصلن فضل النظر في المصحف لأنه عبادة.

ومن المنهي عنه في الدين أن يتخذ الإنسان مصحفاً لا يقرأ فيه قال تعالى: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ وفي الحديث: «**من علق مصحفاً ولم يتعاهده جاء يوم القيامة متعلقاً به يقول: هذا اتخذني مهجوراً أي تركني وصدَّ عني فاحكم بيني وبينه**» قاله الأبيّ في شرح مسلم، وكانت لهن حروف مخصوصة وقراءات يقرأن بها روينها عنه عليه السلام بدليل وجود بعض الاختلافات في مصاحفهن رضي الله عنهن أجمعين بل ثبت التصريح بأن حفصة كانت تعلمت الكتابة علمتها الشفاء بنت عبدالله بن عبدشمس القرشية رواه أبو نعيم وغيره كما في الإصابة في ترجمة الشفاء المذكورة وقد أقرها النبي ﷺ على ذلك حيث قال لها: «**علميها رُقية النملة كما علمتها الكتابة**» ونقل في صبح الأعشى أن أبا جعفر النحاس روى بسنده إلى الحسن أن عائشة رضي الله عنها كانت

تكتب في مكاتباتها بعد البسملة من المبرأة عائشة بنت أبي بكر حبيبة حبيب الله.

وكان عليه السلام يسمر معهن ويحدثهن ويعلمهن وانظر حديث أُم زرع في الصحاح وفي الشمائل وغيرها وقد ثبت في بعض رواياته أن النبي ﷺ حدثهن به كما كان يحدثهن بغيره وقد اشتمل الحديث المذكور على علم كثير من اللغة والأدب والأخلاق وبذلك كانت أزواجه عليه السلام على جانب عظيم من العلم والأدب.

وهكذا كانت سيرة العرب في تعليم البنات بالسمر ليلاً زيادة على التأديب العملي نهاراً فكان الرجل يعلم زوجته مما وهبه الله من العلم والأدب فتسمع البنت والأخت ثم إن فاتهما شيء تعلمانه من الزوجة بعد ذلك كما تتعلم البنت من خالتها وعمتها وجدتها وكان القرآن كافياً في التهذيب لمعرفتهم بلغته فكان تعليم البنات عمومياً تقريباً مع كثرة التهذيب في الرجال أما الآن حيث قلَّ تهذيب الرجل وفسدت اللغة وصار القرآن لا يفهم إلا باللغة الدارجة وجب أن نجعل للبنات من يهذبهن من النساء العارفات في مدارس خاصة بهن لفول عمر بن عبد العزيز «تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور» قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ وكيف تقر العين بزوجة على غاية من الجهل أو بنت لا شيء لها من التهذيب ولله درُّ القائل:

نعم الإله على العباد كثيرة وأجل ذلك نجابة الأولاد

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ فقد كان نساء النبي ﷺ وبنته أعلم نساء زمانهن وكانت عائشة أعلم أهل زمانها بالشعر وأيام العرب وسيدتنا فاطمة ابنته عليه الصلاة والسلام سيدة نساء الأمة كانت أيضاً من العالمات الفاضلات العارفات بالأدب والشعر وهي القائلة رثاء له عليه السلام بعد موته:

ماذا على من شم تربة أحمد
أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو أنها
صبت على الأيام صرن لياليا

وإذا أردت أن تقف على كلام مولاتنا فاطمة رضي الله عنها وتعلم مقدار أدبها وعلمها فانظر خطبتها في كتاب بلاغات النساء وغيره وانظر فيه أيضاً خطب عائشة وأم سلمة وحفصة وغيرهن رضي الله عنهن وهذه عمته صفية بنت عبد المطلب رثته بأبيات أولها:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا
وكنت بنا براً ولم تك جافياً

هذا كله مما يدل على تعلمهن الأدب وما من

أحد إلا ويحب أن تكون بنته على سنن بنت رسول الله ﷺ وأزواجه وعمته عليهن السلام وكان عليه السلام يعلم النساء في يوم مخصوص بهن كما سبق عن الصحيح وفي الصحيح قصة المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ فلم يجبها النبي عليه السلام فقام رجل وقال زوجنيها فقال: «**زوجتكها بما معك من القرآن**» وفي حديث ابن عباس: «**أزوجها منك على أن تعلمها أربع أو خمس سور من كتاب الله**»[1].

وقصة إسلام سيدنا عمر ودخوله على أخته فاطمة فوجدها تقرأ في صحيفة وطلب أن يراها فمنعته وقالت حتى تغتسل ذكرها أبو نعيم ومحمد بن أبي شيبة في تاريخه وغيرهما واستدل بها ابن العربي في الأحكام لدى قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ وأمثالهن كثير.

❊ ❊ ❊

الصحابيات العالمات خير من تقدم

وكان نسوة الأنصار كأم سليم وأسماء بنت يزيد الأنصارية وغيرهما يأتين مجلس النبي ﷺ يسألنه عن

---

(١) تقدم تخريجه.

العلم فكان عليه السلام يجيبهن ويعلمهن وما كان يمنعهن من التعلم وقد قالت عائشة: «نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء من التفقه في الدين» وكل هذا في الصحيح وهكذا كانت نسوة غيره عليه السلام من الصحابة عالمات فاضلات ومنهن أم عطية الأنصارية الصحابية الشهيرة شهدت مع النبي ﷺ ست غزوات وقالت: كنا نقوم على المرضى ونداوي الكلمى تعني الجرحى، والحديث هذا في الصحيح وهو دليل على أن قيام النسوة بخدمة المرضى ليس من مبتكرات أوربا بل كان عند العرب قديماً كما ترى وعنها رضي الله عنها روى علماء التابعين غسل الميت وحديثها أصل فيه وأخذ عليها محمد ابن سيرين حتى الغسل من الجنابة ولها أحاديث في (**الصحاح**) وغيرها في أحكام مهمة في الدين لولاها لضاعت.

ومنهن أم عمارة الأنصارية النجارية من المبايعات الأول بايعت ليلة العقبة وشهدت مشاهد مع النبي ﷺ كأحد وجرحت فيه وقاتلت وشهدت اليمامة في حرب مسيلمة الكذاب وجرحت اثنتي عشرة جرحة وقطعت يدها وقتل ولدها خبيب.

ومنهن أم ورقة بنت عبدالله بن الحارث بن عويمر بن نوفل الأنصارية فإنها من الصحابيات اللاتي جمعن القرآن حفظاً على عهده ﷺ ذكر ذلك السيوطي في

الإتقان. وقد روى ابن سعد وغيره أن النبي ﷺ كان يزورها ويسميها الشهيدة ولما غزا بدراً قالت له: أتأذن لي. فأخرج معك أداوي جرحاكم وأمرض مرضاكم لعل الله يهدي لي شهادة قال: «**إن الله مهد لك شهادة**» وفي رواية أبي داود: «**قري في بيتك فإن الله يرزقك الشهادة**» وكان ﷺ أمرها أن تؤم أهل دارها وكان لها مؤذن فغمها غلام وجارية كانت قد برتهما فقتلاها في إمارة عمر فقال: صدق رسول الله ﷺ كان يقول: «**انطلق بنا نزور الشهيدة**».

زاد أبو داود أن عمر صلب الغلام والجارية فكانا أول مصلوب في المدينة وفي رواية ابن السكن أن عمر مرَّ بدارها فلم يسمع قراءتها ليلة فسأل عنها فوجدها مغمومة فأحضر الغلام والجارية فأمر بقتلهما وصلبهما. روى قصتها أبو داود وابن سعد وابن السكن وأبو نعيم وابن مندة. وغير خفي أن الذين جمعوا القرآن على عهده ﷺ من الرجال أربعة لا يختلف فيهم كما قال ابن سيرين. وهم معاذ بن جبل وأُبي بن كعب وأبو زيد ورابع قيل: أبو الدرداء، وقيل: عثمان، وقيل: تميم الداري، فإذا اعتبرنا هذه النسبة فيكون معدل القارئات على عهده عليه السلام من النسوة خمس القارئين من الرجال وذلك ما يدلنا على سرعة ارتقاء النسوة في الزمن النبوي، ومنهن

أيضاً أم سعد بنت سعد بن الربيع الأنصاري، روى أبو داود عن داوود بن الحصين قال: كنت أقرأ على أم سعد بنت سعد بن الربيع مع ابنها موسى بن سعد وكانت يتيمة في حجر أبي بكر الصديق فقرأت عليها: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ قالت: لا، ولكن «والذين عاقدت أيمانكم» إنها نزلت في أبي بكر وعبد الرحمن ابنه حين أبى أن يسلم فحلف أبو بكر أن لا يورثه الحديث. وأمثالهن كثير، ومنهن خولة بنت حكيم قال الشيخ ابن عربي الحاتمي في مسامراته. وروينا عن قتادة قال: خرج عمر بن الخطاب من المسجد والجارود العبدي معه فبينما هما خارجان إذا بامرأة على ظهر الطريق فسلم عليها عمر فردت عليه السلام ثم قالت رويدك يا عمر حتى أكلمك كلمات قليلة قال لها: قولي قالت: يا عمر عهدي بك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ تصارع الصبيان، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين فاتق الله في الرعية واعلم أنه من خاف الموت خشي الفوت، فبكى عمر رضي الله عنه فقال الجارود: هيه قد اجترأت على أمير المؤمنين وأبكيتيه فقال عمر: دعها أما تعرف هذه يا جارود هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من فوق سمائه فعمر والله أحرى أن يسمع كلامها، أراد بذلك قوله

تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ا هـ. وقد كانت الخنساء أشعر أهل زمانها بل وأشعر الشاعرات باتفاق وكانت من الصحابيات وكان النبي ﷺ يستنشدها ويعجبه شعرها وكانت تُنشده وهو يقول: «هيه يا خناس ويومىء بيده الشريفه».

وانظر إلى المرأة التي جاءت سيدنا عمر لما أمر أن لا يزاد في الصداق على ما كان يصدق به النبي ﷺ نساءه وبناته فقالت: أنعمل بقول الله أم بقولك يا عمر؟ فقال: وما قول الله؟ قالت: إن الله يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ فقال: كل الناس أفقه منك يا عمر. وهكذا المرأة التي جاءت ابن مسعود تُراجعه لما روى **«لعن الله الواشمة والمستوشمة»** والقصة في الصحيح أيضاً وهذه الدرجة في العلم التي تسمح بالرد على المجتهد المطلق بالبحث في دليله مفقودة فينا في الرجال فكيف بالنساء.

وانظر الجزء الرابع من استيعاب ابن عبدالبر ومن كتاب الإصابة لابن حجر تعلم أسماء بعض الصحابيات العالمات اللاتي وصل الدين لنا بروايتهن مثل الشفاء بنت عبدالله بن عبد شمس القرشية العدوية من المهاجرات الأول ومن عاقلات النساء وفضلياتهن قال لها رسول الله ﷺ: **«علمي حفصة رقية النملة كما**

علمتها الكتابة» وكان عمر يقدمها في الرأي ويرعاها ويفضلها وربما ولاها شيئاً من أمر السوق قاله ابن سعد وابن عبدالبر وابن حجر في **(الإصابة)**.

* * *

تعلم نسوة التابعين وأتباعهم

وهكذا أيضاً نسوة التابعين كرابعة العدوية ومن بعدهم كسيدتنا نفيسة العلوية دفينة مصر الشهيرة أَخذ عنها الإمام الشافعي وغيره وترجمتها شهيرة.

وفي **(الأدب المفرد)** للإمام البخاري في باب الكتابة إلى نساء وجوابهن حدثنا أبو رافع قال: حدثنا أبو أسامة قال: حدثني موسى بن عبدالله قال: حدثتنا عائشة بنت طلحة قالت: قلت لعائشة وأنا في حجرها وكان الناس يأتونها من كل مصر فكان الشيوخ ينتابوني لمكاني منها. وكان الشباب يتاخوني فيهدون إلي ويكتبون إلي من الأمصار فأقول لعائشة: يا خالة هذا كتاب فلان وهديته فتقول لي عائشة: أي بنية فأجيبيه وأثيبيه فإن لم يكن عندك ثواب أعطيك قالت فتعطيني ا هـ. وعائشة بنت طلحة هي التميمية ابنة أخت عائشة أم المؤمنين أخرج لها الستة أبوها طلحة بن عبيدالله

الفياض أحد العشرة المبشرين بالجنة وأمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضي الله عن الجميع.

وكان فطاحلة العلماء يقصرون عن إدراك منزلة بعض النسوة في العلم، قال القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق يوماً للزهري: أراك مشغوفاً بالعلم فإن أردت وعاءه فعليك ببنت عبدالرحمٰن فإنها كانت في حجر عائشة ونالت علماً كثيراً قال الزهري: فذهبت إليها فوجدتها بحراً لا ينزف. فبتأمل هذه القصة وأمثالها نعلم ما وصل إليه النساء في صدر الإسلام وإنهن كن من عوامل ارتقائه ولولا ارتقاؤهن ما وصل إلى تلك الغاية.

* * *

النسوة في زمن الدولتين الأموية والعباسية ومن بعدهما

وقد كانت النسوة في زمن زهرة الدولتين الأموية والعباسية في المشرق وزمن زهرة بني أمية بالأندلس أدركن شأواً بعيداً في العلم والتهذيب وكن يعرفن الكتابة والعلوم على اختلافها حتى علم الوثائق وكن يحررن صكوك الوثيقة بيدهن على المسطرة السنية الشرعية التي كان عليها عمل السلف الصالح.

ففي النسائي ما نصه: تفرق الزوجين عن مزاوجتهما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾.

هذا كتاب كتبته فلانة بنت فلان بن فلان في صحة منها وجواز أمر لفلان بن فلان بن فلان أني كنت زوجة لك وكنت دخلت بي فأفضيت إلي ثم إني كرهت صحبتك وأحببت مفارقتك من غير إضرار منك بي ولا منعي لحق وجب لي عليك وإني سألتك عندما خفنا أن لا نقيم حدود الله أن تخلعني فتبتني منك بتطليقة بجميع ما لي عليك من صداقي وهو كذا وكذا ديناراً جياداً مثاقيل وبكذا وكذا ديناراً جياداً مثاقيل أعطيكها على ذلك سوى ما في صداقي ففعلت الذي سألتك منه فطلقني تطليقة بائنة بجميع ما كان بقي لي عليك من صداقي المسمى مبلغه في هذا الكتاب وبالدنانير المسماة فيه سوى ذلك فقبلت ذلك منك مشافهة لك عند مخاطبتك إياي به ومجاوبة على قولك من قبل تصادرنا عن منطقتنا ذلك ودفعت إليك جميع هذه الدنانير المسمى مبلغها في هذا الكتاب الذي خالعتني عليها وافية سوى ما في صداقي فصرت بائنة منك مالكة لأمري بهذا الخلع الموصوف أمره في هذا الكتاب فلا

سبيل لك علي ولا مطالبة ولا رجعة وقد قبضت منك جميع ما يجب لمثلي ما دمت في عدة منك وجميع ما أحتاج إليه بتمام ما يجب للمطلقة التي تكون في مثل حالي على زوجها الذي يكون في مثل حالك فلم يبق لواحد منا قبل صاحبه حق ولا دعوى ولا طلبة بوجه من الوجوه فهو في جميع دعواه مبطل وصاحبه من ذلك أجمع بريء وقد قبل كل واحد منا كل ما أقر له به صاحبه وكل ما أبرأه منه مما وصف في هذا الكتاب مشافهة عند مخاطبته إياه قبل تصادرها عن منطقتنا وافتراقنا عن مجلسنا الذي جرى بيننا فيه أقرت فلانة وفلان ا هـ. منه بلفظه.

وهكذا كان حال النساء في زمن زهرة الدولتين المذكورتين في الارتواء من حياض العلم والأدب وكن على جانب عظيم من معرفة الكتابة والقراءة كأم جعفر بن يحيى وزبيدة زوجة الرشيد وغيرهما، وقد كان لزبيدة مائة جارية تحفظ القرآن العظيم وتقرأ عشرة ورداً كل ليلة وكان يسمع في قصرها كدوي النحل بقراءة القرآن.

وهذه بنت مالك الإمام واسمها أم أبيها تروي عنه **(الموطأ)** وغيرها قال الزبيدي: كان لمالك ابنة تحفظ علمه وكانت تقف خلف الباب فإذا غلط القارىء نقرت الباب فيفطن فينظر ما لها فترد عليه.

وهذه كريمة بنت أحمد المروزية تروي لنا **(صحيح البخاري)** عن الكشميهني وهذا أبو الحسن الفرغاني يروي عن أم القاسم بنت أبي بكر بن يعقوب كما في سند صاحب **(الشفا)** في الباب الثالث من القسم الأول.

بل هذا أبو الوليد الطيالسي يروي عن سبعين امرأة عالمة. وغيرهن كثير فكيف ننكر تعلم النساء والدين وصلنا كثير منه على أيديهن وبواسطتهن ولم يشترطوا في راوي العلم أن يكون ذكراً.

ولا تجد كتاباً مؤلفاً في الرواة إلا وتجد جزءاً منه مخصصاً للنساء الراويات كالميزان والتهذيب والتذهيب وتذهيب التذهيب وغيرها. وقد تكلم العلماء في تعديلهن وتجريحهن مثل ما تكلموا في الرجال وما منع الحجاب من ذلك أحداً لأن الحجاب هو لمحل العورة لا للأحوال كلها فله حد محدود في الشرع الإسلامي وإن كانت العادة زادت فيه تضييقاً من باب قول عمر بن عبدالعزيز «تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور» لكن لا يجوز أن نبلغ به إلى أن نمنعهن حقوقهن الواجبة علينا إبلاغهن إياها كالعلم والرواية والتعديل والتجريح ونحو ذلك مما ورد عن السلف الصالح وتضافرت عليه الأمة وقد نص القرآن على

وجوب عمل الحكام بشهادتهن وهو دليل تعديلهن وقد كان بالربض الشرقي من قرطبة أيام بني أُمية مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي هذا في ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها (صح من الورقة ٢٠٩ من المعجب في (**تلخيص أخبار المغرب**)).

ونقل بعض المؤرخين أنه كان في إشبيلية خمسمائة محبرة للنساء أو في ناحية منها وانظر كتاب (**بلاغات النساء**) لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر البغدادي المتوفى سنة ٢٨٠ المطبوع بمصر سنة ١٣٢٦ وكتاب (**الدر المنثور في تراجم ربات الخدور**) تأليف السيدة زينب فواز المصرية المطبوع بمصر سنة ١٣١٢.

وراجع في المسعودي وابن خلكان وابن الأثير وتاريخ ابن جرير الطبري وغيرهم تراجم التابعيات ومن بعدهن مثل ترجمة سكينة بنت الحسن بن علي التي كانت حَكماً عند فطاحل الشعراء في نقد الشعر وغيرها تعلم مقدار ما وصل إليه تعليم المرأة عند المسلمين قديماً وحديثاً.

وكذلك إذا استقريت كتب المؤرخين المشارقة والمغاربة تجد من ذلك العجب العجاب سواء في دول الإسلام الراقية أو المتأخرة بعد تأخر الإسلام.

فهذه السيدة أم البنين الفهرية أو الهوارية التي أسست بفاس مسجد القرويين وترجمتها شهيرة في القرطاس وغيره وأختها مريم مؤسسة جامع الأندلس بفاس أيضاً.

وكالسيدة النفزاوية زوجة يوسف بن تاشقين الذي هو أول ملك عظيم مستقل في المغرب كانت تدبر ملكه ويعمل بإشارتها على ضخامته واتساعه.

وهذه أم مجد الدولة من ملوك بني بُويه الذي تولى وهو ابن أربع سنين دبرت ملكه بالوصاية عليه من سنة ٣٨٧ إلى سنة ٣٩٧ ثم ثار عليها هو وأخضعته ثم اعتقلته وولت أخاه شمس الدولة.

ومثلها أخت الحاكم بأمره الفاطمي سلطان مصر. وكذلك زوجة صلاح الدين الأيوبي. وكذلك السيدة ملال أخت السلطان باديس الصنهاجي ملك إفريقية فإنها حضنت ابنه المعز في القرن الخامس وأدارت ملكه حيث ولوه وهو ابن ثمان سنين، وكان في عصرها بنت العزيز الفاطمي ملك مصر تدبر ملك ولدها بعده وتصدر الأمر بالقتل فما دونه.

وهذه الشاعرة الأديبة سارة بنت عثمان بن الصلاح الحبيب كانت عالمة أستاذة أديبة شاعرة لقيها ابن سلمون

بفاس فأجازته وألبسته الخِرقة وخاطبت الإمام ابن رُشيد الفهري ومدحت الملوك وكان لها اعتبار عظيم بفاس وفي الأندلس وسائر المغرب ولها شعر رائق أورد كثيراً منه في الجذوة. وكذلك ذكر في الجذوة المسماة سيدة بنت عبدالغني العبدرية المعلمة بديار الملوك كانت عالمة حسنة الخط بارعة توفيت سنة **٦٤٧**.

ومنهن الحرة مسعودة الوزڤينية أم أحمد المنصور السعدي التي أسست في سنة **٩٩٥** مسجد باب دكالة بمراكش، وأسست به مكتبة عظيمة وحبست عليها كُتباً كثيرة وقد وقفت على بعض تلك الكتب بنفسي بمكتبة المواسين انتقلت إلى هناك بعد تلاشي مكتبة باب دكالة. ورأيت إشهاد التحبيس عليها وأظن أني رأيت على بعض تلك الكتب خطها وقد وقفت على ذلك أوقافاً عظيمة وبنت جِسْرَين على أم الربيع كما هو مكتوب على رخامة قبرها ومن أراد استقصاء ما لها من المآثر فليقف عليها في (**المنتقى**) المقصور وفي دُرة الحجال.

ومنهن كما في صلة ابن بشكوال السيدة غالبة بالغين المعجمة بنت محمد المعلمة الأندلسية تروي عن أصبغ بن مالك الزاهد ذكرها مسلمة ابن قاسم في كتاب النساء له ا هـ.

ومنهن كما في (**الصلة**) أيضاً فاطمة بنت يحيى بن

يوسف المغامي أخت الفقيه يوسف بن يحيى المغامي. كانت خيرة فاضلة عالمة فقيهة استوطنت قرطبة وبها توفيت رحمة الله عليها سنة تسع عشرة وثلاثمائة. ودفنت بالربض ولم يُر على نعش امرأة قط ما رئي على نعشها وصلى عليها محمد بن أبي زيد ودخلت عليها يوماً امرأة فذاكرتها شيئاً وضحكت المرأة وذلك بعد ما سبيت مكة فقالت فاطمة تضحك وقد رفع الله الركن من الأرض قالت المرأة فلم أرها تضحك بعد حتى ماتت رحمة الله عليها. وصلى عليها شيخ كان يدخل عليها قال: أتيتها فقالت لي: أبا عبدالسلام أين بات القمر البارحة؟ قلت: والله ما أدري فقالت: لو لم أدر أين بات القمر ما ظننت أني من أمة محمد ﷺ.

ومنهن كما في (**الصلة**) أيضاً فاطمة بنت محمد بن علي بن شريعة اللخمي أخت أبي محمد الباجي الإشبيلي شاركت أخاها أبا محمد في بعض شيوخه ورأيت إجازة محمد بن فطيس الإلبيري لأخيها ولها في جميع روايته بخط يده في بعض كتبهم رحمهم الله وغفر لهم ا هـ.

ومنهن لُبنى كاتبة الخليفة الحكم بن عبدالرحمن كانت حاذقة بالكتابة نحوية شاعرة بصيرة بالحساب مشاركة في العلم لم يكن في قصرهم أنبل منها وكانت

عروضية خطاطة جداً وتوفيت سنة أربع وخمسين وثلاثمائة.

ومنهن مزنة كاتبة الخليفة الناصر لدين الله كانت حاذقة من أخط النساء توفيت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة.

ومنهن عائشة بنت أحمد القرطبية بنت محمد بن قادم ذكرها ابن حيّان وقال: لم يكن في حرائر الأندلس في زمانها من يعدلها فهماً وعلماً وأدباً وشعراً وفصاحة وعفة وجزالة وحصافة وكانت تمدح ملوك زمانها وتخاطبهم فيما يعرض لها من حاجتها فتبلغ ببيانها حيث لا يبلغه كثير من أدباء وقتها، ولا ترد شفاعتها. وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف والدفاتر وتجمع الكتب وتعنى بالعلم ولها خزانة علم كثيرة حسنة ولها غنى وثروة تعينها على المروءة وماتت عذارء لم تنكح قط قال: ورأيت لها شعراً إلى بعض الرؤساء أوله:

لولا الدموع لما خشيت عذولاً
فهي التي جعلت إليه سبيلاً

تصرفت فيه أحسن تصرف. ومحاسنها كثيرة قال ابن حيّان: وتوفيت سنة أربعمائة.

ومنهن كما في (**درة الحجال**) خديجة بنت جعفر بن نصر بن التمار التميمي زوج عبدالله بن أسد الفقيه حدثت عن زوجها عبدالله بموطأ القعنبي قراءة عليه بلفظها في أصلها وقيدت فيه سماعها بخطها في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة سمعت شيخنا أبا الحسن بن مغيث رحمه الله يذكر ذلك وذكر لي أن الكتاب عنده ثم رأيته بعد ذلك على حسب ما ذكر رحمه الله ورأيت من تحبيسها كتباً كثيرة على ابنتها ابنة أبي محمد بن أسد الفقيه.

ومنهن صفية بنت عبدالله الربى أديبة شاعرة موصوفة بحسن الخط قال الحميدي: ذكرها أبو محمد علي بن أحمد وأنشدني قال: أنشدني أبو عبدالله محمد بن سعيد بن فرج لها وقد عابت امرأة خطها فقالت:

وعائبة خطي فقلت لها اقصري
فسوف أريك الدر في نظم أسطري
وناديت كفي كي تجود بخطها
وقربت أقلامي ورقي ومحبري
فخطت بأبيات ثلاث نظمتها
ليبدو بها خطي فقلت لها انظري

قال الحميدي: وتوفيت في آخر سنة سبع عشرة وأربعمائة وهي دون ثلاثين سنة.

ومنهن راضية مولاة الإمام عبدالرحمن بن محمد الناصر لدين الله وتدعى بنجم ممن أعتقها الحكم عن أبيه وتزوجها لبيب الفتى وحجا معاً سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وكانا يقرآن ويكتبان ودخلا الشام ولقيا ابن شعبان القرطبي بمصر ونظراءه روى عنها أبو محمد بن حزم وقال: عندي بعض كتبها وتوفيت في حدود سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة وقد نيفت على مائة عام بنحو سبعة أعوام.

ومنهن فاطمة بنت زكرياء بن عبدالله الكاتب المعروف بالشبلاري مولى بني أمية كانت كاتبة جزلة عمرت عمراً كبيراً واستكملت أربعاً وتسعين سنة تكتب على ذلك الكتب الطوال وتجيد الخط وتحسن القول ذكرها ابن حيان وقال: توفيت سلخ جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وأربعمائة ودفنت بمقبرة أم سلمة وشهدها جمع من الناس وماتت بِكراً رحمها الله.

ومنهن مريم بنت أبي يعقوب الفيصُولي الشلبي الحاجة أديبة شاعرة جزلة مشهورة كانت تعلم النساء الأدب وتحتشم لدينها وفضلها وعمرت عمراً طويلاً سكنت إشبيلية وشعرت بها بعد الأربعمائة ذكرها

الحميدي وقال: أنشدني لها أصبغ بن سيد الإشبيلي

وما يُرتجى من بنت سبعين حجة
وسبع كنسج العنكبوت المُهَلْهَل
تدب دبيب الطفل يسعى إلى العصا
وتمشي بها مشي الأسير المكبل

وقال الحميدي: وأخبرني أن ابن المهند بعث إليها بدنانير وكتب إليها:

ما لي بشكر الذي أوليت من قبل
لو أنني حزت نطق الأنس والخبل
يا فَرْدة الظرف في هذا الزمان ويا
وحيدة العصر في الإخلاص والعمل
أشبهت مريما العذراء في ورع
وفقت خنساء في الأشعار والمثل

فكتبت إليه:

من ذا يجاريك في قول وفي عمل
وقد بدرت إلى فضل ولم تُسَلِ
ما لي بشكر الذي نظمت في عنقي
من اللآليء وما أوليت من قبل

حَليتني بحُلى أصبحتُ زاهية
بها على كل أنثى من حلى عُطل
لله أخلاقك الغر التي سُقيت
ماء الفرات فرقت رقة الغزل
أشبهت في الشعر من غارت بدائعه
وانجدت وغدت من أحسن المثل
ما كان والده العضب المهند لم
يلد من النسل غير البيض والأسل

ومنهن خديجة بنت أبي محمد عبدالله بن سعيد الشنتجيالي التي سمعت مع أبيها من الشيخ أبي ذر عبدالله بن أحمد الهروي (**صحيح البخاري**) وغيره وشاركت لأبيها هناك في السماع من شيوخه بمكة حرسها الله ورأيت سماعها في أصول أبيها بخطه وقدمت معه الأندلس وماتت بها رحمه الله.

ومنهن طرفة وجدت ترجمتها ملحقة بخط بعض الأفاضل على نسخة من ابن بشكوال حسبما وقف عليها في نسخة بالمطبعة الإسبنيولية. وهي بنت عبدالعزيز بن موسى بن طاهر وتكنى بحبيبة وهي زوج أبي القاسم الخطيب المقري أخذت عن أبي عمر بن عبدالبر الحافظ كثيراً من كتبه وتآليفه وعن أبي العباس أحمد بن عمر

العذري الدلائي وسمع زوجها أبو القاسم المقري بقراءتها عليه وكانت حسنة الخط فاضلة دينة وكان مولدها سنة سبع وثلاثين وأربعمائة وتوفيت رحمها الله سنة ست وخمسمائة أخبرني بأمرها أبو بكر أكرمه الله تعالى.

ومنهن فاطمة بنت إبراهيم بن محمود بن جوهر البعلبكي المعروف بالبطائحي الشيخة الخيرة الفاضلة الكاتبة أم الخير وأم محمد من أهل الشام سمعت على الحسين بن المبارك بن محمد الزبيدي ذكرها ابن الزبير ولقيها ابن رُشيد بمسجد المصطفى ﷺ وأجازت له وكتبت له خطها سنة أربع وثمانين وستمائة قاله في (درة الحجال).

ومنهن فاطمة بنت حسين بن عبدالله بن عبدالرحمن الآمدي المؤذن أم أحمد صاحبة الشيخ أبي الحسن ابن بقا المؤذن من أهل قاسيون سمعت ابن الزبيدي ومحمد بن إبراهيم الإربلي توفيت في المحرم سنة ثمان وتسعين وستمائة.

ومنهن شامية بنت الإمام الحافظ الرحال أبي علي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد بن عمر بن أبي سعيد بن عبدالله بن الحسن بن القاسم بن علقمة بن النصر بن معاذ بن عبدالرحمن بن القاسم بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم الشيخة الصالحة المعمرة

المسندة الأصيلة سمعت من حنبل الرصافي ثلاثيات مسند الإمام أحمد بن حنبل ومن جدها أبي الفتوح وغيرهم ذكرها ابن الزبير الأصغر في مشيخته ولم يذكر وفاتها.

ومنهن هدية بنت عبد الحميد بن سعد المقدسي روت البخاري عن ابن الزبيدي حُضوراً والحمداني وسمع عنها جماعة وكانت قابلة توفيت ببيت المقدس في جمادى الأخيرة سنة ثنتي عشرة وسبعمائة ذكرها في **(درة الحجال)**.

ومنهن أيضاً وزيرة بنت يحيى بن محمد بن أحمد التغلبي أم محمد ست الوزراء بنت تاج الدين محتسب دمشق ولدت سنة تسع وثلاثين وستمائة أجازت السخاوي والعز والحافظ الضيا محمد بن عبدالواحد وأبا حفص ابن البرادعي وأبا عمرو بن الصلاح وغلبت عليها السوداء في حدود سنة عشرة وسبعمائة وفي شوال من سنة خمس عشرة توفيت رحمها الله.

ومنهن وزيرة بنت عمر بن أسعد سمعت البخاري من ابن الزبيدي ومسند الشافعي وروايتها بالشام وديار مصر توفيت في عام اثنين وعشرين وسبعمائة[١].

---

(١) والصواب أن وفاتها سنة ٧١٦هـ.

ومنهن الفقيهتان الحسينيتان السيدة مباركة والسيدة زينة الشرف بنتا الشيخ العلامة المتفنن عبدالقادر بن محمد بن يحيى بن مكرم بن المحب الطبري الحسيني أجازت للشيخ العلامة الضابط أبا عبدالله سيدي محمد الشهير بالمرابط بن القطب الكبير العارف الشهير أبي عبدالله سيدي محمد بن شيخ المشايخ سيدي أبي بكر بن محمد الدلائي قدس الله أرواحهم.

قال في **البدور الضاوية** ما نصه: قال الشيخ الحافظ أبو عبدالله سيدي محمد يعني ولد سيدي محمد المرابط الدلائي المذكور ما نصه: «ولله در والدي رحمه الله وذلك أنه لما أحل بالحرم الشريف المقابل بالإجلال والتعظيم والتشريف بمكة المشرفة والمعاهد المفوقة لقيه شيخ الإسلام وقدوة ذوي الاستسلام الزاهد أبو مهدي عيسى بن محمد بن محمد الجعفري الثعالبي نزيل مكة المشرقة فتفاوضا في الحديث المتلقي في القديم والحديث حتى أخبره الشيخ المذكور ذو السعي المشكور وأنا شاهد بالفقيهتين الجليلتين الحسينيتين السيدة مباركة والسيدة زينة الشرف بنتي الشيخ المذكور فأجازنا له جميع ما يجوز لهما روايته.

فمن ذلك الحديث المسلسل بالأولية كما هو

مرسوم الآن عندنا وسورة الفاتحة عن الشيخ الخطيب العلامة المعمر عبدالواحد بن إبراهيم الحصار المقري إجازة عامة لفظاً وخطاً سنة إحدى عشرة بعد الألف بمكة المشرفة ورفعنا له السند إلى قاضي الجن شمهروش: قال سمعته من رسول الله ﷺ قال: وكان السماع والإجازة من الشيختين المذكورتين للوالد المذكور رحمهم الله يوم الاثنين موفى عشرين من ذي الحجة الحرام بالبلد الحرام سنة تسع وسبعين وألف بتقديم التاء في التسع والسين في سبعين وكتبت قريش عن إذن أختها السيدة مباركة والسيدة زينة الشرف قال: ومن خطهما نقلت.

قال: فما رأيت والدي رحمه الله سُرَّ بإجازة عالم قط مثل ما سُرَّ بإجازة هاتين الشيختين الحسينيتين قائلاً: لا أدري بأيتهما أفرح بالإجازة الشريفة أم بوجود هاتين الشريفتين الفقيهتين الكائنتين أهلاً للأخذ عنهما لا سيما وهما من سلالة سلسلة الذهب لأن وجود سلالة هذه السلسلة الذهبية على هذه الصورة أشهر للنفس من الماء البارد انتهى كلام ولده رحمهما الله.

وهكذا كان فيما قبل هذه الدولة وما بعدها نساء عالمات فاضلات يعلم ذلك من له معرفة بالتاريخ ولكن لما وقع التأخر في الأمة الإسلامية حصل في جميع

الطبقات رجالاً ونساء فإذا أردنا أن ننهض فلا بد أن ينهض جميع الأمة نساءً ورجالاً.

※ ※ ※

القول بمنع النساء من التعليم هو الوأد الأصغر بل الأكبر

لا شك أن من يقول بمنع المرأة من التعلم والعلم فإنه يمنع نصف الأمة من العلم قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ فتأمل قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ حيث جعلها بعض النفس وجعل منها النسل فهي أستاذة النسل ومبدؤه أفيرضى العاقل بحرمان بعض نفسه وأستاذ بنيه من العلم والتهذيب؟ بل هذا عندي هو الوأد الأصغر قال تعالى: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ وأي هون أعظم من مهانة الجهل والمنع من التعلم! فمنعهن من العلم هو منع لهن من لذة عظيمة في الحياة الدنيا وهي لذة العلم التي قيل: إنه لا لذة في الدنيا سواها وقد سمى الحق سبحانه العلم حياة فقال: «**أفمن كان ميتاً فأحييناه**» كما سماه روحاً ونوراً وحكمةً في آيات القرآن فالمنع منعه منع من الخير كلّه ولربما كان أقبح

من الوأد ولا يتصور تهذيب أمة ونسوتها على حال نسوة أمتنا سيما مع اختلاطهن بالزنجيات واقتباس كثير من أفكارهن وخرافاتهن المنحطة بل هذا وأد لنساء الأمة قاطبة وهو الوأد الأكبر.

* * *

النصوص الفقهية على تعليم البنات الكتابة

قال الشيخ خليل: (ولوح لمعلم ومتعلم وإن حائضاً) فهو صريح في إباحة تعلم البنت ولو بالغة القراءة والكتابة حيث رخص لها في مس لوح التعليم وهي حائض خوف النسيان لتكرر الحيض فلولا أن تعلمها مشروع بل مطلوب ما رخص لها في ذلك هذا له في النواقض وقال في الحيض: (ومس مصحف لا قراءة) فأباح للمرأة القراءة وهي حائضة وذلك كله دليل واضح على عدم منعها من تعلم العلم والقراءة والكتابة بل دليل على مطلوبيته لما جعلوا لها من الرخصة في ذلك بدون طهارة لتعذرها عليها حالة الحيض.

وقال في فصل الصداق: وفي منعه بمنافع أو تعليمها قرآناً وكراهته قولان وقد صرح الخرشي بأن

النكاح لا يفسخ إن وقع على تعليمها القرآن بل يمضي بما وقع عليه من التعليم لا بصداق المثل على القول بالكراهة بل وعلى القول بالمنع كما في التوضيح ونازعه الشيخ بناني بما يطول في الأخير قف عليه.

وقال خليل أيضاً في الإجارة عطفاً على الجائز: وعلى تعليم قرآن وأطلق في الذكر والأنثى وأصله في الصحيح أن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله وهو عام أيضاً في الذكر والأنثى.

وقال الشيخ أبو الحسن في شرح قول الرسالة من تعليم ذلك للولدان كما تعلمهم حروف القرآن ما نصه: أي لأولاد المؤمنين ذكوراً وإناثاً ا هـ. منه.

وقال الزرقاني لدى قول خليل أول الجهاد كالقيام بعلوم الشرع ممثلاً لفرض الكفاية ما نصه: (ودخل في ذلك النساء كما في (**شرح التنقيح**) فيجب على المتأهلة منهن القيام بعلوم الشرع كما كانت عائشة ونساء تابعات وغاية ما في الباب أن التقصير في زيادة العلم ظهر فيهن أكثر) انتهى منه بلفظه وسلموه.

وقال خليل أيضاً في باب القضاء: كالمفتي والمدرس ومعناه أن المفتي والمدرس ينبغي لهما أن يفرد النبباء بوقت خاص أو يوم خاص للإفتاء والتعليم

هذا من جملة ما دخل تحت كاف التشبيه كما قرره الشارحون وهذا هو المحل الخامس الذي نص فيه خليل على تعليم الإناث فكيف يسع فقيهاً جهله؟ قال الإمام القرطبي على قوله عليه السلام للنساء اجتمعن يوم كذا ما نصه: هذا يدل على أن الإمام ينبغي له أن يعلم النساء ما يحتجن إليه من أمر أديانهن وأن يخصصن بيوم مخصوص لذلك لكن في المسجد أو ما كان في معناه لتؤمن الخلوة بهن فإن تمكن من ذلك بنفسه فعل وإلا استنهض الإمام شيخاً يوثق بعلمه ودينه لذلك حتى يقوم بهذه الوظيفة ا هـ نقله الحطاب في باب القضاء فقوله في المسجد أو ما في معناه الذي في معناه هو تخصيص مدارس لهن لا يختلطن فيها بالرجال وهو ما نريده فهو نص صريح في المسألة.

وذكر الشيخ أبو العباس أحمد بن الخطيب القسنطيني في كتابه في التعريف بأبي مدين الغوث أن الشيخ أبا عبدالله محمد بن عبدالله الصفار دفين قسنطينة المتوفى سنة ٧٤٩ كان إماماً في مسجد باب القنطرة الذي هو مدفون فيه وكان يعلم البنات قال: واختصه والدي لتعليم بناته القرآن ولم تفارقه إحداهن حتى ختمت وكررت ثلاث مرات وقرأت عليه الرسالة قال: وانتفع بها والدي كثيراً في مقابلة الكتب ونحوها قال:

وقالت لي إحدى أخواته: ما رأيته رفع بصره فينا يوماً قط وما سمعنا منه كلمة في غير التعليم.

❋ ❋ ❋

التعليم لا ينافي الحجاب

نعم إن الحجاب واجب وإن تعلم المرأة لا ينافي الحجاب فإنها تتعلم ما دامت لم تبلغ سن الحجاب فهناك تحجب ولا تمنع من التعلم في منزلها أو في محل يصلح لها كالمسجد أو مدارس لهن مع الصون والعفاف والدين مبني على الاعتدال قال تعالى: ﴿فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ وقد كان عليه السلام معتدل الأمر غير مختلف «لكل حال عنده عتاد».

فلسنا نريد من المرأة المسلمة أن تبلغ مبلغ الأروبية والأمريكية حتى تتربع على دست الوزارة أو في مجلس النواب فتكشف الحجاب ولا أن نمسكها على هون كحيوانات في البيوت تأكل وتنام إلى أن تموت وخير الأمور ما كان عليه النبي ﷺ: «**ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح عليه أولها**».

هذا وإني أعلم أن الذين أنكروا علي الحث على تعليم البنات لهم قصد حسن وغيرة حملتهم على ذلك

وقصدهم هو سد الذريعة خوفَ الوقوع في العار وفي مفاسد ربما تنشأ عن تعلمهن لكني أقول لهم: إن هذا رأي متطرف عن الشريعة الإسلامية في منع النساء من العلم وأحقق لكم أنه لا مفسدة إذا علمن التعليم الذي أريده على الكيفية التي أوضحتها وإنما المفسدة في تعليمهن تعليماً إفرنجياً على أن المفاسد مهما كانت فمفسدة الجهل أعظم وهي الداء الذي لا دواء له إلا العلم، وأن المفاسد التي نشأت في هذه الأزمان للأمم الإسلامية من تعليم المرأة، فإنما هي من فساد التربية حيث أعطوها الحرية المذمومة، وهي التي لا تتقيد بآداب ولا دين فأفسدوها وعلموها تعليماً إفرنجياً، فالذنب على من علمها فلم يُحسن تعليماً، ولم يجعله داخل دائرة الشرع الشريف، والأدب التهذيبي اللطيف، كما أن مثل ذلك وقع لهم حتى في تعليم الأولاد أفنمنع الأولاد من التعليم أيضاً؟! ولا ذنب على المرأة حتى تعاقب بحرمان التعليم بل على الذين علموها تعليماً أوروبياً لا ينطبق على ديننا وعوائدنا فلأي شيء يحرم النساء من العلم، والحقوق التي أنعم الله بها عليهن في شرعهن الكريم ولهن القدح المعلّى في إعلاء الدين ومُوازرة سيد المرسلين، فإذا كان أبو بكر سبق الرجال إلى الإسلام فإن خديجة قبله سبقت ووازرت بمالها وحسن رأيها وعقلها وهي أم آل البيت الشريف وإذا كان

الصحابة هاجروا وبايعوا ونصروا وتعلموا وعلموا ونفعوا وغزوا ونصروا فالنساء فعلن مثل ذلك فقد كان في هجرة الحبشة عدد من النسوة كأم سلمة وأم حبيبة وأسماء بنت عيسى وكذلك في هجرة المدينة وحضر في البيعة الثانية ليلة العقبة أربع نسوة وفي غيرها وذكرت هجرتهن ومبايعتهن في القرآن العظيم ووقع الثناء عليهن كذلك وقد نصروا دين الله وغزون بأنفسهن وكن يعالجن المرضى ويداوين الجرحى بل منهن من قاتلت، وتعلمن الدين وعلمنه وروينه للرجال وكن من نقلته ومن الناشرين له. حاصله ما كان من فضل للرجال يذكر إلا وللنساء مثله على عهده ﷺ وبعده.

والقرآن وكتب الصحيح والسير كفيل ببيان ذلك وقد رأيت أنه كالضروري من الدين لمن له إلمام بمعرفة السير والحديث والتفسير فلا نطيل بسرده وتقدم بعضه قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ وراجع ترجمة خديجة تعلم مقام النساء في نفع الإسلام وراجع ترجمة أم سلمة وإشارتها على النبي ﷺ في غزوة الحديبية بالحلق والنحر وعمله عليه السلام بإشارتها تعلم مقامهن في الرأي والعمل والعلم والاجتهاد وراجع ترجمة عائشة تعلم مقدار النساء في العلم والاجتهاد والتبليغ والعقل ومحبة الرسول

وراجع ترجمة حفصة وصفية وأم حبيبة وفاطمة بنت رسول الله ﷺ وأم عطية وأم سليم وأسماء بنت أبي بكر والخنساء وغيرهن وهكذا في التابعيات مثل نفيسة ورابعة العدوية وسكينة بنت الحسن بن علي وغيرهن.

ولو فرضنا أن تعليمنا الديني المنطبق على الشرع نشأ عنه شيء من الفساد فذلك الفساد غير مؤثر على مجموع نسوة الإسلام وتلك المفاسد عينها تنشأ عن الجهل بل أقبح وأشد فكم من جاهلة يحملها جهلها على الذهاب لما لا يليق ولو كانت عالمة لانتفعت بصناعة أو غيرها وصانت نفسها، فالجهل هو سبب المعرة العظمى ولو تعلم نساء البوادي وهن جل نسوة الإسلام والسواد الأعظم ما رفعن الحجاب ولا أزلن عن دينهن الجلباب فتعليم البنات لو جرى كما ينبغي وعم الحواضر والبوادي لكان سبباً في جلب الحجاب لا في رفعه، فالطامة الكبرى على الإسلام إنما هي من الجهل ولولا الجهل ما كان الحجاب مرفوعاً عن البوادي ولا بلغ نساء الحواضر إلى ما بلغن إليه من التزين والخروج للمواسم كاسيات عاريات مائلات مميلات فتلك الذريعة التي تجنبتم طريقها هي واقعة بل مع الجهل تكون أشد وأقبح.

وليس درء المفاسد معتبراً في كل باب فإن غرس

العنب يؤدي إلى شرب الخمر المحرم بالإجماع ومع ذلك يجوز غرسه بإجماع وإن السكنى مع الجوار قد تؤدي للزنى ولكنه غير معتبرَ أيضاً لأن الذرائع على ثلاثة أقسام ما لا يعتبر بإجماع مثل ما سبق وما يعتبر بإجماع كحفر الآبار في المواضع التي يخاف عليها إتلاف نفس أو مال مثل الطرق العمومية. وقسم اختلفوا فيه كبيوع الآجال وذلك كله مبين في الفرق الثامن والخمسين من فروق القرافي فانظره والدليل على عدم اعتبار هذه الذريعة هنا هو ما تقدم من الدلائل القطعية.

أما مسألة الحجاب والغيرة فما كان ينبغي إيرادها علينا أصلاً لأننا نتكلم في تعليم البنات الصغار على يد آبائهن وبنظرهم وفي كنفهم وتحت مراقبتهم وليس في ظهورهن لمعلماتهن الصينات المؤتمنات ما يوجب الغيرة روى النسائي وابن ماجه واللفظ له مرفوعاً: «**من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يكره الله فأما ما يحب الله فالغيرة في الريبة وأما ما يكره الله فالغيرة في غير ريبة**».

ولا ينبغي أن تتغلب فينا عاطفة الغيرة على واجبات الدين والحقوق العامة والعدل قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ الآية. فحفظ الموازنة بين الأخلاق هو القانون العقلي للإنسان الذي يميز به بين الغث والسمين

من العادات وغيرها. ولا يصح أن يقال هنا أيضاً بسد الذريعة فإن النبي ﷺ قال: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**» مع أن ذهابهن للمسجد ربما ينشأ عنه فساد لا سيما ليلاً ولكن ذلك لم يعتبر شرعاً فلا نسد ذريعة مشكوكة بمنع من واجب محقق ومصلحة محققة وفي (**صحيح مسلم**) لما روى هذا الحديث عبدالله بن عمر لوالده واقد بلفظ إئذنوا للنساء بالليل إلى المساجد قال له: إذن يتخذنه دغلا فضربه في صدره وقال له: أقول لك عن رسول الله وتقول لا، زاد في (**مصابيح السنة**) أنه هجره ولم يكلمه حتى مات وقضية سيدنا عمر في **البخاري** في تشديده في الحجاب وقوله لسيدتنا سودة عرفناك يا سودة وشكايتها له عليه السلام قالت عائشة: وكان في حجري وإن في يده لعرقا فرفع عنه وهو يقول: «**قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن**» وفي (**الصحيح**) فإذا لم يكن لها جلباب فلتعرها من جلبابها ولا معنى لاستدلال من استدل علينا بقصة سودة هذه ولا بقول عائشة لو رأى رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما منعت نساء بني إسرائيل قال الحافظ العسقلاني: علقت الحكم على شرط لم يوجد بناء على ظن ظنته فقالت لو رأى لمنع فيقال عليه لم ير ولم يمنع فاستمر الحكم الذي هو الإباحة حتى إن عائشة لم تصرح بالمنع وإن كان كلامها يشعر بأنها

كانت ترى المنع مذهباً لها وأيضاً فقد علم الله ما سيحدثن فيما أوحى لنبيه بمنعهن وأيضاً فالأحداث إنما وقع من البعض فلا يكون المنع للكل ا هـ.

وفي **(البخاري)** في باب اعتزال الحيض المصلى عن أم عطية أمرنا أن نخرج فتخرج الحيض والعواتق وذوات الخدور أو العواتق ذوات الخدور فأما الحيض فيشهدن جماعة المسلمين ودعوتهم ويعتزلن مصلاهم.

وفي **(مسند أبي حنيفة)** فقالت امرأة: يا رسول الله إذا كانت إحدانا ليس لها جلباب قال: «**لتلبسها من جلبابها**» وفي لفظ البخاري من رواية أبي معمر عن أم عطية فكنا نقوم على المرضى ونداوي الكلمى فقالت: يا رسول الله أعلى إحدانا بأس إذا لم يكن لها جلباب أن لا تخرج فقال: «**لتلبسها صاحبتها من جلبابها فليشهدن الخيرة ودعوة المؤمنين**».

وروى ابن أبي شيبة وغيره عن أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما حق على كل ذات نطاق الخروج إلى العيدين وقد ورد مرفوعاً بإسناد لا بأس به أخرجه أحمد وأبو يعلى وابن المنذر. وقال عياض: إن أبا بكر وعلياً بن أبي طالب رضي الله عنهم كانوا يرون وجوب خروجهن للعيد وإن ناقشه ابن حجر

في ذلك بأنه لم يقف على ذلك صريحاً عنهم ولكن الناقل حجة فلا التفات لعدم وقوف ابن حجر عليه إذ لا يلزم منه عدم الوجود.

* * *

شريعة الإسلام
أول من رفع شأن المرأة وقرر لها حقها

اعلم أن النبي ﷺ لما بُعث وجد المرأة في هون وهوان فرفع من شأنها وأعطاها حقها المعتبر شرعاً وكفى في اهتمامه ﷺ بأمر النساء وصايته بهن وتقرير حقوقهن في حجة الوداع فإنه قال فيها: «**فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله**» الحديث رواه مسلم وأبو داود والنسائي والدارمي وابن أبي شيبة وغيرهم.

وشرعنا أول شرع سبق إلى اعتبار المرأة وترفيع شأنها قال الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ الآية وما منع واحدة قط من العلم ولا حد لها فيه حداً وقد تعلم النسوة في زمنه عليه السلام وبعده من غير نكير وقرأن وعلمن فعلمن وروي عنهن الدين وما بلغنا عن أحد منعهن من ذلك ممن يعتمد قوله فنحن إنما

نندب الناس إلى مثل ذلك التعليم تعليماً دينياً تهذيبياً بقدر ما تكون به المرأة مستحقة لتهذيب أولادها ورياسة المنزل ومعرفة واجبات الدين وواجبات النفس ولا يندب الناس إلى تعليم إجباري بل باختيار أولياء البنات فمن رأى التعليم مصلحة علم ومن لا فلا في غير الضروري من أمور الدين كالعقائد والآداب والأخلاق أما هذا القدر فتعليمها إياه واجب شرعاً والإخلال به معصية وننديهم إلى أن يعلموهن تعليماً عربياً مثل ما فعلوا بأولادهم وذلك باختيارهم ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾.

فصل

قد يورد علينا بعض من يطالع الكتب تشكيكات فنقول في إزاحتها أما العربي الذي مر على رجل يعلم ابنته الكتابة فوقف عند رأسه ينظر إليهما وقال: (واعجبا أفعى وتسقى سما) فإنه فِكر رجل جاهلي بقية من تدينوا بوأد البنات فليس كلامه حجة شرعية ولا عقلية يعتمد عليها وأين هو من أبي الأسود الدؤلي الذي لما سمع ابنته لحنت في قولها ما أشد الحر حملته الغيرة على إصلاح لسان ابنته فوضع لها ولنا علم النحو لتصلح لسانها ولا تفسد بفساده لسان أولادها فببركة تلك البنت علمنا النحو ولولا اعتناء الطبقة العليا من عقلاء العرب

والمتنورين منهم بهن ما فعل أبو الأسود ما فعل فتأمل ذلك بإنصاف.

وما روي من أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال في حق النساء: جنبوهن الكتاب ولا تسكنوهن الغرف استعينوا عليهن بلا فإن نعم تضربهن في المسألة وإن سيدنا علياً كرم الله وجهه مر على رجل يعلم المرأة الخط فقال: «لا تزد الشر شراً» فجوابي عنه أن النقل عن هذين الإمامين يحتاج لإثبات ولا يقوى قوة ما تقدم من كتابة عائشة وإقراره عليه السلام حفصة على تعلمها وغير ذلك من الدلائل القطعية السابقة فلذلك لم يعتمد الأئمة ذلك.

قال خليل في الإجارة عطفاً على الجائز: (وعلى تعليم قرآن مشاهرة أو على الحذاق وأخذها وإن لم يشترط) وأطلق ولم يفصل بين ذكر وأنثى فهو ظاهر في الجواز وتقدم نصه أيضاً في الحيض ونواقض الوضوء مما هو صريح في جواز تعليم الكتابة للإناث.

على أني أستبعد كل البعد صدور هذه المقالة من سيدنا عمر لِما فيها من منافاة حسن العشرة التي كان عليها النبي ﷺ وأمر بها قال عليه السلام: «**خيركم خيركم لأهله**» وكيف ينهى عن سكنى الغرف والله يقول: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ

﴿مِنَ ٱلرِّزْقِۚ﴾ وكان للنبي ﷺ نزل بها لما آلى من نسائه شهراً كما في (**الصحيح**) وما اتخذها إلا ليسكنها بأهله إذ ما كان يتخذ ولا يبني إلا قدر الضرورة قال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّۚ﴾ أو يكون قول عمر جنبوهن ليس أمراً دينياً عاماً في كل امرأة وإنما هو إرشاد بالنسبة لمن هي فاسدة الأخلاق غير متدينة وكذلك قول علي (لا تزد الشر شراً) يتعين أن يحمل على امرأة مخصوصة إذ من المعلوم في الدين أن ليس كل النساء شراً قال تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ الآية وقضية علي من أبعد البعيد لمكان الحجاب في الإسلام المانع من أمثال هذه القضية إذ مروره على رجل يعلم امرأة لا يخفى استبعاده إلا بتأويل وعلى كل حال فالاستدلال بهما لا يقوم على ساق بحسب القواعد الحديثية والأصولية فلا التفات إلى من استدل بذلك.

❋ ❋ ❋

تحقيق ما ينبغي أن تعلمه البنت وأن تعلمها على طرفين وواسطة

هذا وإن الذي ندبنا إليه هو تعليم الضروري من الدين كالعقائد والعبادة وما تيسر من القرآن العظيم

وآداب الدين ومكارم الأخلاق والقيام بشؤون الزوج والمنزل والأولاد وهذا لا قائل بكراهته ولا يلزم من ذلك الكتابة ولا تعلمها: فالمسألة بين طرفين وواسطة تعلم الضروري من الدين كما سبق وهذا واجب بلا إشكال والإخلال به معصية وتعلم الكتابة وهذا هو محل النظر والجواز هو الذي دل عليه القرآن والسنة وهو مقتضى كلام خليل الذي به الفتوى في غير ما موضع وتقدم لنا أن الكتابة وسيلة تعطى حكم مقصدها.

وتعليمها تعليماً أوربياً وهذا لا نقول به ولا نندب أحداً إليه ولا يقول به ذو بصيرة في دينه وفي معناه تركها مهملة بدون تعليم كالحيوان وهذا أيضاً لا يقول به أحد.

* * *

رد ما نقله عياض من كراهة تعليم المرأة سورة يوسف

نعم نقل عياض في الشفا في القسم الرابع أن بعض السلف كره تعليم النساء سورة يوسف يعني لئلا تتفطن لمثل ما فعلته امرأة العزيز من الحب والتحيل في

خيانة زوجها ونحو ذلك ولكن كل ذلك يدفع بالتربية على محاسن الأخلاق. على أن هذه الكراهة معارضة بتعلم أزواجه عليه السلام وبقوله ﷺ لعائشة وحفصة في مرض موته إنكن صواحب يوسف كما في الصحيح فلو كان تعليم سورة يوسف مكروهاً ما ضرب لهما المثل بصواحب يوسف والإحالة لا تكون إلا على معلوم فالحديث الصحيح يرد ما نقله عياض من كراهة تعميم تعليمهن على أن تحيل زليخا وخيانتها لم يذكر في سورة يوسف على سبيل المدح بل على طريق الذم والتنفير وإنها قد افتضحت وحصحص الحق فهو في الحقيقة نهي عن الأخلاق السافلة وتبشيع لها وحاش كلام الله العظيم أن يكون فيه ما ينافي مكارم الأخلاق أو يغفل فيه ما يضر بالنساء أو الرجال مع عموم الرسالة وعموم الخطاب بل هو الجامع للمكارم والمهذب للبشر.

فتلخص من هذا أن تعليم المرأة تعليماً جارياً على النسق الذي بينته ليس بدعة في الدين حتى ينكر علي حث الناس إليه بل هو سنة الدين وواجباته نعم هو بدعة في العادة وفراقها أصعب شيء على الإنسان.

***

مكاتب البنات كانت قديمة بالمغرب

على أنه يوجد عندنا بفاس عدة مكاتب عمومية للبنات أهلية محضة قديمة قبل الحماية لا دخل للحكومة فيها أصلاً تتعلم فيها أكثر من مائتي بنت القراءة والكتابة ويوجد من ذلك في الرباط وغيرها كثير وما أنكرها أحد من العلماء السابقين ولا اللاحقين ولا من أهل السياسة ولا يتعلمن هناك إلا ما تنكرونه وهو الكتابة وهو ليس بموكد عندنا في الدين إذا لم يتعين طريقاً للواجب كما أن جل الناس يعلمون بناتهم كثيراً من صنائع اليد كالطرز والخياطة وغير ذلك ويبعثوهن لمعلمات يعلمنهن كمدارس صناعية وذلك في الحاضرة والبادية فها أنا أندب الناس وأطلب منهم أن يزيدوا على ذلك ما هو آكد من ذلك وهو تعليم عقائد الدين وفروضه من صلاة وطهارة وغيرها.

وقد حكى أبو الحسن في شرح الرسالة الإجماع على أنه آكد من تعليم القرآن عدى الفاتحة والسورة وكذلك تعليم الأخلاق التي هي المقصود من التربية الحسنة وما يتبع ذلك مما يعد تهذيباً وديناً حقيقياً وما يحسن لهن أمر دنياهن من صنائع وتدبير المنزل ونحوها ويوجد الآن في مدارس الحكومة بنات ثلاثمائة وأربع

وسبعون بنتاً تتعلم في المدارس الصناعية اليدوية والكتابة والقراءة العربية والآداب وإن شاء من الآباء أن يعلمهن الفرنسوية.

وبيانها ففي الرباط ١٢٥ وفي سلا ١٠٤ وفي الدار البيضاء ٧٢ وفي مراكش ٦٨ وفي الصويرة ٦٠ وفي وجدة ٥٥ وذلك بطلب الآباء ورضاهم.

❋ ❋ ❋

أخلاق المرأة المغربية وصنائعها وقابليتها

هذا وإن المرأة المغربية موصوفة بحسن التبعل كما كانت نسوة قريش موصوفة بذلك في الأحاديث الصحيحة موهبة وهبها الله لكثير منهن قال عليه السلام: **«خير نساء ركبن الإبل نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده»**[1].

كما هي موصوفة بالحذق في إدارة شؤون بيتها وفي النظافة التامة ودقة الفكر في صنائع يدوية مشهورة بالحسن في العالم كطرز الثياب بالحرير والذهب المقصب

(١) صحيح الجامع الصغير: حديث رقم: ٣٣٢٩.

والفضة وطرز الجلود وصنع السروج واللبد والمناطق وخيوط الحرير كالقِيطَان والسفِيفَة وطرز الموبر بالصقلي الذهبي عمل التوريق وغزل الصوف الرقيق وصنع الزرابي اللطيفة المتقنة وغير ذلك هذا في الحواضر بل يوجد في نساء البادية ذوق ورقة أكثر من الحواضر في نسج الصوف أكسية وبرانيس وبسط رفيعة وقطيفات وغيرها مما يدل على شرف في نفوسهن وتوقد أفكارهن وذوق عال بحيث لو اعتنى بتربية المرأة المغربية وتهذيبها وتعليمها لكانت أرقى نساء العالم أو من أرقاهن مع ما هي موصوفة به من النشاط وحب العمل والظرف وقابلية التهذيب والتعليم والعفة والحشمة على العموم.

ومن المعلوم أن تأخر النساء مانع من تقدم الأمة ولهذا سبق الإسلام إلى تعليمهن وتهذيبهن واعتبارهن عضواً عاملاً في الهيئة الاجتماعية فهو أول الأديان في رفع شأن المرأة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (والله كنا في الجاهلية ما نعد النساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم) رواه الشيخان.

وهذه أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية يقال خطيبة النساء شهدت اليرموك وقتلت بعمود فسطاطها تسعة من الروم وعاشت بعد ذلك دهراً كما في **(الإصابة)**.

قال في (**الاستيعاب**) إنها أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني رسول من ورائي جماعة نساء المسلمين كلهن يقلن بقولي وعلى مثل رأيي إن الله بعثك إلى الرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت ومواضع شهوات الرجال وحاملات أولادهم وإن الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنائز والجهاد وإذا خرجوا إلى الجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه فقال: «**هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه**» فقالوا: بلى يا رسول الله فقال ﷺ: «**انصرفي يا أسماء واعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال**» فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشاراً بما قال لها رسول الله ﷺ ا هـ فتأمل هذه القصة تعلم أن النساء كان لهن جامعة ورابطة دينية تجمعهن على الدفاع عن حقوقهن.

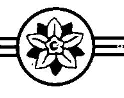
وهذا شيء لم يكن للأمم قبل الإسلام فالإسلام أول دين اعتبر المرأة وأعطاها حقوقها المهضومة وأحلها محلها الذي تستحقه.

وكيف ينهض إنسان سقط شقه ومات نصفه فلا بد

لنا أن نرجع لما كان عليه سلفنا ونسترجع ما فقدناه من أصولنا هذا ما أريده ولا أريد غيره والله يوفقنا جميعاً لرضاه ا هـ.

وقيده عبيد ربه محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي وفقه الله.





تتميم

قال جامعه وفقه الله وبعد إتمام هذه المحاضرة: وقفنا للشاعر الرصافي على قصيدة في المعنى رأينا من المناسب إثباتها ونصها:

التربية والأمهات

هـي الأخـلاق تـنـبـت كـالـنـبـات
إذا سـقـيـت بـمـاء الـمـكـرمـات
تـقـوم إذا تـعـاهـدهـا الـمـربـي
عـلـى سـاق الـفـضـيـلـة مـثـمـرات
وتـسـمـو لـلـمـكـارم بـاتـسـاق
كـمـا اتـسـقـت أنـابـيـب الـقـنـاة
وتـنـعـش من صـمـيـم الـمـجـد دوما
بـأزهـار لـهـا مـتـضـوعـات

ولم أر للخلائق من محل
يهذبها كحضن الأمهات
فحضن الأم مدرسة تسامت
بتربية البنين أو البنات
وأخلاق الوليد تقاس حسنا
بأخلاق النساء الوالدات
وليس ربي عالية المزايا
كمثل ربي سافلة الصفات
وليس النبت ينبت في جنان
كمثل النبت تنبت في الفلاة
فيا صدر الفتاة رحبت صدرا
فأنت مقر اسنى العاطفات
نراك إذا ضممت الطفل لوحا
يفوق جميع ألواح الحياة
إذا استند الوليد عليها لاحت
تصاوير الحنان مصورات
لأخلاق الصبي بك انعكاس
كما انعكس الخيال على المِرآة
وما ضربان قلبك غير درس
لتلقين الخصال الفاضلات

فأول درس تهذيب السجايا
يكون عليك يا صدر الفتاة
فكيف نظن بالأبناء خيراً
إذا نشؤوا بحضن الجاهلات
وهل يرجى لأطفال كمال
إذا ارتضعوا بشدي الناقصات
فما للأمهات جهلن حتى
أتين بكل طياش الحصاة
حنون على الرضيع بغير علم
فضاع حنو تلك المرضعات
أأُم المؤمنين إليك نشكو
مصيبتنا بجهل المؤمنات
فتلك مصيبة يا أم منها
نكاد نغص بالماء الفُرات
تخذنا بعدك العادات دينا
فأشقى المسلمون المسلمات
فقد سلكوا بهن سبيل خسر
وصدوهن عن سبل الحياة
بحيث لزمن قعر البيت حتى
نزلن به بمنزلة الأداة

وعدوهن أضعف من ذباب
بلا فتح وأهون من شذاة
وقالوا شرعة الإسلام تقضي
بتفضيل الذين على اللوات
وقالوا: إن معنى العلم شيء
تضيق به صدور الغانيات
وقالوا الجاهلات أعف نفسا
عن الفحشا من المتعلمات
لقد كذبوا على الإسلام كذبا
تزول الشم منه مزلزلات
أليس العلم في الإسلام فرضاً
على ابنائه وعلى البنات
وكانت أمنا في العلم بحرا
تحل لسائليها المشكلات
وعلمها النبيء أجل علم
فكانت من أجل العالمات
لذا قال ارجعوا أبدا إليها
بثلثي دينكم دي البينات
وكان العلم تلقينا فأمسى
يحصل بانتياب المدرسات

وبالتقرير من كتب ضخام
وبالقلم الممد من الدواة
ألم تر في الحسان الغيد قبلا
أوانس كاتبات شاعرات
وقد كانت نساء القوم قدما
يرحن إلى الحروب مع الغزاة
يكن لهم على الأعداء عوناً
ويضمدن الجروح الداميات
وكم منهن من أسرت وذاقت
عذاب الهون في أسر العداة
فماذا اليوم ضر لو التفتنا
إلى أسلافنا بعض التفات
فهم ساروا بنهج هدى وسرنا
بمنهاج التفرق والشتات
نرى جهل الفتاة لها عفافاً
كأن الجهل حصن للفتاة
ونحتقر الحلائل لا بجرم
فنؤذيهن أنواع الأذات
ونلزمهن قعر البيت قهرا
ونحبسهن فيه من الهناة

لئن وأدوا البنات فقد قبرنا
جميع نسائنا قبل الممات
حجبناهن عن طلب المعالي
فعشن بجهلهن مهتكات
ولو عدمت طباع القوم لؤما
لما غدت النساء محجبات
وتهذيب الرجال أجل شرط
بجعل نسائهم متهذبات
ما ضر العفيفة كشف وجه
بدا بين الاعفاء الأباة
فدى بخلائق الأعراب نفسي
وإن وصفوا لدينا بالجفاة
فكم برزت بحيهم الغواني
حواسر غير ما متربيات
ولولا الجهل ثم لقلت مرحى
إن الفوا البداوة في الفلات

انتهى

قوله ولو عدمت طباع إلخ فيه تطرف شديد وبعد عن مكارم الشريعة الإسلامية والاعتدال ما قال حافظ إبراهيم شاعر مصر أو شاعر الشرق في مدرسة البنات ببورت سعيد ونصه كما بالجزء الثالث من ديوانه صحيفة ٧٣.

كم ذا يكابد عاشق ويلاقي
في حب مصر كثيرة العشاق
إني لأحمل في هواك صبابة
يا مصر قد خرجت على الأطواق
لهفي عليك متى أراك طليقة
يحمي كريم حماك شعب راق
كلف بمحمود الخلال متيم
بالبذل بين يديك والانفاق
إني لتطربني الخلال كريمة
طرب الغريب بأوبة وتلاق
ويهزني ذكر المروءة والندى
بين الشمائل هزة المشتاق
ما البابلية في صفاء مزاجها
والشرب بين تنافس وسباق

والشمس تبدو في الكؤوس وتختفي
والبدر يشرق من جبين الساق
بألذ من خلق كريم طاهر
قد مازجته سلامة الأذواق
فإذا رزقت خليقة محمودة
فقد اصطفاك مقسم الأرزاق
فالناس هذا حظه مال وذا
علم وذاك مكارم الأخلاق
والمال إن لم تدخره محصناً
بالعلم كان نهاية الإملاق
والعلم إن لم تكتنفه شمائل
تعليه كان مطية الأخلاق
لا تحسبن العلم ينفع وحده
ما لم يتوج ربه بخلاق
كم عالم مد العلوم حبائلا
لوقيعة وقطيعة وفراق
وفقيه قوم ظل يرصد فقهه
لمكيدة أو مستحل طلاق
يمشي وقد نصبت عليه عمامة
كالبرج لكن فوق تل نفاق

يدعونه عند الشقاق وما دروا
أن الذي يدعون خدن شقاق
وطبيب قوم قد أحل لطبه
ما لم تحل شريعة الخلاق
قتل الأجنة في البطون وتارة
جمع الدوانق من دم المهراق
أغلى وأثمن من تجارب علمه
يوم الفخار تجارب الحلاق
ومهندس للنيل بات بكفه
مفتاح رزق العامل المطراق
تندى وتيبس للخلائق كفه
بالماء طوع الأصفر البراق
شيء يلوي من هواه فحده
في السلب حد الخائن السراق
وأديب قوم تستحق يمينه
قطع الأنامل أو لظى الإحراق
يلهو ويلعب بالعقول بيانه
فكأنه في السحر رقية راق
في كفه قلم يمج لعابه
سما وينفثه على الأوراق

يرد الحقائق وهي بيض نصع
قدسية علوية الإشراق
فيردها سوداً على جنباتها
من ظلمة التمويه ألف نطاق
عريت عن الحق المطهر نفسه
فحياته ثقل على الأعناق
لو كان ذا خلق لأسعد قومه
ببيانه ويراعه السباق
من لي بتربية النساء فإنها
في الشرق علة ذلك الإخفاق
الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم روض ان تعهده الحيا
بالري أورق أيما إيراق
الأم أستاذ الأساتذة الأولى
شغلت مآثرهم مدى الآفاق
أنا لا أقول دعو النساء سوافراً
بين الرجال يجلن في الأسواق
يدرجن حيث أردن لا من وازع
يحذرن رقيته ولا من واق

يفعلن أفعال الرجال لواهيا
عن واجبات نواعس الأحداق
في دورهن شؤونهن كثيرة
كشؤون رب السيف والمزراق
كلا ولا أدعوكم أن تسرفوا
في الحجب والتضيق والإرهاق
ليت نساءكم حلى وجواهرا
خوف الضياع تصان في الأحقاق
ليست نساؤكم أثاثاً يقتني
في الدور بين مخادع وطباق
تتشكل الأزمان في أدوارها
دولاً وهنّ على الجمود بواق
فتوسطوا في الحالتين وانصفوا
فالشر في التقييد والإطلاق
ربوا البنات على الفضيلة إنها
في الموقفين لهن خير وثاق
وعليكم أن تستبين بناتكم
نور الهدى وعلى الحياء الباق

وعندي أنه لا سبيل لنهوض الشعب وتسنمه ذرى

المعالي إلا بحفظه بالتربية والأخلاق الحسنة حتى يشب عليها، وقد رأيت أن أثبت في هاته المسامرة ما أحسبه ترياقا لإصلاح الشبيبة في ضمن قصيدة ليسهل على الناشئة حفظها ونصها:

***

حفظ الرمق بالتربية والتهذيب

قم يا فتى واحفظ نصيحة من نصح
ولج المدارس فالمجال لك انفسح
العصر عصر العلم والعمل الذي
ترقى به فاطمح ونافس من كدح

***

الاجتهاد وسن التعلم

خذّ باجتهادك في المعارف يافعاً
ما دام سنك للتعلم قد صلح
واترك شواغلك التي تلهو بها
واسلك سبيل الجد واهجر من مزح

ودع البطالة في الدروس فانها
سبب الدروس وفي امتحانك تفتضح

الحزم والتبكير

كن حازماً واذهب لدرسك باكراً
لا نوم مهما ديك فجر قد صدح

الحض على العلم

بالعلم تدرك منصباً وجلالة
وتسود أقراناً غناهم قد ندح
فاقرا بقلبك لا بلفظك وحده
ولتات درسك والفؤاد قد انشرح

التمرن على الكتابة

اكتب دروسك لا تمل كتابة
ذلل يراعك إن تقاعس أو جمح

* * *

تجويد الكتابة والقراءة

جـود حـروفـك مـنـطـقـاً وكـتـابـة
فـمـجـود الأمـريـن يـهـنـىء بـالـربـح

النظافة

دن بـالـنـظـافـة فـالـنـظـافـة ديـنـنـا
والـثـغـر عـنـوان الـنـظـافـة فـي الأصـح

الوقار والحشمة

احـفـظ ثـيـابـك مـع كـتـابـك دائـمـاً
والـبـس وقـار الـعـلـم واجـتـنـب الـمـرح

الحض على العلوم العربية لأبنائها

الـنـحـو والـلـغـة الـعـزيـزة قـدمـا
كـي تـفـهـم الـقـرآن والـخـطـب الـفـصـح
نـبـه فـؤادك والـلـسـان فـربـمـا
تـعـتـاد أغـلاطـاً بـهـا الـحـر افـتـضـح

❊ ❊ ❊

العقائد والفقه والتاريخ

الـزم عـقـائـد سـنـة مـتـفـقـهـا
وتـعـلـم الـتـاريـخ مـرقـاة الـفـلـح

حفظ القرآن والأدب

ثـم احـفـظ الـقـرآن حـفـظاً مـتـقـنـا
واملا مـن الأشـعـار والأدب الـقـدح

العلوم العصرية واللغات

خذ من علوم العصر أوفر مكسب
ولـغـاتـه حتـى تـنـال الـمـقـتـرح

تهذيب النفس بمكارم الأخلاق

الـنـفـس أنـفـس مـا لـديـك فـهـذبـن
بـالـنـفـس أنـت مـسـود لا بـالـشـبـح

❋ ❋ ❋

التخلية عن الحقد والحسد

فالحقد والحسد الذميم احذرهما
أما الحسود فلا يسود وإن كدح

الخيانة والغش والتدليس

أم القبائح في الخلال خيانة
والغش والتدليس أبشع ما جرح

الظلم

لا تظلمن ولا تعاون ظالما
فالظلم مجلبة الخزايا والترح

صدق اللهجة ووفاء العهد

دم صادعاً بالحق صادق لهجة
وف العهود وكاف من أسدى المنح

❋ ❋ ❋

الإتكال على الله ثم النفس

لا تتكل يوماً على أحد وكن
بالأمر مضطلعاً فما كل نجح
لا تعتمد غير الإله معاونا
باشر بنفسك ما تعين أو رجح

النشاط ومضاء العزيمة

كن بالنشاط مع العزيمة ماضيا
أما التكاسل فالوبال به لقح

الشورى

لا تستبد وشاورن أولي النهى
والنصح فالشورى بها الغلق انفتح

التاني والفكر قبل العمل

كن في أمورك كلها متأنياً
فالفكر قبل الفعل عقباه الفرح

* * *

الثبات والصبر

أثبت لريب الدهر غير مزعزع
واصبروكن ثبت الجنان لمن كفح

نزاهة اللسان

نزه لسانك لا تقل فحشاً ولا
زورا ولا عتباً ولا عيباً وضح

حسن الخلق

سود تسود لا تكن فظاً ولا
ذا غلظة بل لِن وكن ممن صفح
اترك فضول القول وانصت عندما
نطق الكبيرا والقرين قد افتتح
عظم كبير السن وارحم ذا الصبا
واسمح لتربك ان جنى أو ان جمح

❋ ❋ ❋

الحياء والتقى والحلم

أكمل جمالك بالحياء وبالتقى
والحلم واحذر أن ترى ممن برح

التواضع

خذ بالتواضع لا تكن متكبرا
فالكبر والعلم الأصح مع الأبح

القناعة والاقتصاد بالاعتدال

إن القناعة في اقتصادك مغنم
لكن جماع الذم مهما قيل شح

الكرم

بالجود تكتسب القلوب وتتقي
شر العدا والمال يا سوما انجرح

* * *

تعظيم الشيوخ

أحبب معلمك النصوح معظما
أقواله واسمع ولو قولاً جرح

❋ ❋ ❋

برور الوالدين وصلة الأرحام

للوالدين عليك حق واجب
أحبب أطع عظم تكن أهل الفلح
قرب قرابتك التي تسمو بها
والزم أباك وإن أباك وإن قدح
صلهم وإن قطعوا وكن عوناً لهم
لا تجف من يجف وكن ممن سمح

❋ ❋ ❋

احذر ضعيف الدين

سالم جميع الناس تسلم منهم
واحذر ضعيف الدين بل عنه تنح

❋ ❋ ❋

التمسك بالدين وحب الوطن

وتمسكن بالدين دين محمد
وبحبك الوطن العزيز وان نزح
أحبب بلادك واسع في خيراتها
ولتحسنن لأهلها مهما سنح
وأجل إحسان لهم انقاذهم
من سوء أخلاق وجهل قد طفح
تخدم بذا وطناً تقدس حبه
لا بالتبجح أو بقعقعة السبح
أما المسبح فهو نافع نفسه
إن كان علي إخلاص قلب قد رشح

❋ ❋ ❋

حب السلطان

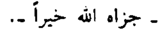
وبحب سلطان البلاد فإنه
أمن العباد وخيرهم مهما صلح
فالله ينصره ويجعل رأيه
في نشر تعليم فذا أسنى المنح

تمت



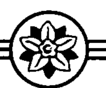

الفهارس(*)

- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الأماكن.
- فهرس الموضوعات.



(*) هذه الفهارس من إعداد والدي الأستاذ: أحمد بن عزوز ـ جزاه الله خيراً ـ.





فهرس المصادر والمراجع

١ - **إتمام الأعلام**، (ذيل لكتاب: الأعلام لخير الدين الزركلي)، الدكتور: نزار أباظة والدكتور: رياض المالح - بيروت - دار صادر - ١٩٩٩م.

٢ - **الاجتهاد والتحديث**، الدكتور: سعيد بنسعيد العلوي - مطبة النجاح الجديدة - الدار البيضاء - ١٤٢١هـ.

٣ - **الأعلام ١ - ٨**، (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) خير الدين الزركلي - بيروت - دار العلم للملايين - ط: ٩ - ١٩٩٦م.

٤ - **أعلام النساء ١ - ٥**، عمر رضا كحالة - دمشق - المطبعة الهاشمية - ١٣٨٧هـ.

٥ - **بيوت الحديث في دمشق**، الدكتور: محمد بن عزوز - ط: دار الفكر - دمشق - سورية - ٢٠٠٤م.

٦ - **التحبير في المعجم الكبير**، للسمعاني، تحقيق: منيرة سالم - مطبوعات وزارة الأوقاف - بغداد - ١٩٧٥م.

٧ - **التكملة لوفيات النقلة**، للمنذري، تحقيق: الدكتور: بشار عواد معروف - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط: ٣ - ١٩٨٤م.

٨ ـ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، ـ للمزي ـ تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف ـ ط ـ ٢ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٩٨٣م.
٩ ـ **جهود المرأة الدمشقية في رواية الحديث الشريف**، الدكتور: محمد بن عزوز ـ ط: دار الفكر ـ دمشق ـ سورية ـ ٢٠٠٤م.
١٠ ـ **درة الحجال في أسماء الرجال**، لابن القاضي، تحقيق: الدكتور: محمد الأحمدي أبو النور ـ دار التراث بالقاهرة، والمكتبة العتيقة بتونس ـ ١٣٩١هـ.
١١ ـ **الدر المنثور في طبقات ربات الخدور**، لزينب بنت يوسف فواز العاملي ـ المطبعة الأميرية ـ ببولاق ـ القاهرة ـ ١٣٧٢هـ.
١٢ ـ **الرحلة الأندلسية**، لمحمد بن الحسن الحجوي ـ مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم: ٢٦٠ح.
١٣ ـ **الرحلة الأوربية**، لمحمد بن الحسن الحجوي ـ مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم: ١١٥ح.
١٤ ـ **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ـ المكتبة العلمية ـ بيروت.
١٥ ـ **سنن أبي داود**، تعليق: عزت الدعاس وعادل السيد ـ دار الحديث.
١٦ ـ **سير أعلام النبلاء**، للذهبي، تحقيق: جماعة من الأساتذة ـ ط: ٣ ـ ١٩٨٥م.
١٧ ـ **صحيح البخاري**، ضبط وترقيم: الدكتور: مصطفى البغا ـ دار ابن كثير ودار اليمامة ـ دمشق.
١٨ ـ **صحيح مسلم**، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي ـ مصور دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٩ ـ **صفحات مشرقة من عناية المرأة بصحيح الإمام البخاري**، الدكتور: محمد بن عزوز ـ ط: دار ابن حزم ـ بيروت ـ ٢٠٠٢م.

٢٠ ـ **صفة الصفوة**، لابن الجوزي، تحقيق: محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي ـ بيروت.

٢١ ـ **الصلة**، لابن بشكوال ـ مكتبة الخانجي بالقاهرة.

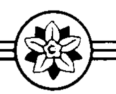
٢٢ ـ **الفكر الإصلاحي في عهد الحماية**، لآسية بنعدادة ـ المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء.

٢٣ ـ **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، محمد بن الحسن الحجوي ـ المطبعة الجديدة ـ فاس.

٢٤ ـ **مختصر العروة الوثقى في مشيخة أهل العلم والتقى**، محمد بن الحسن الحجوي، تحقيق: الدكتور: محمد بن عزوز ـ ط: دار ابن حزم ـ بيروت.

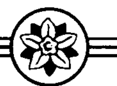
٢٥ ـ **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، للسخاوي، تحقيق: عبدالله بن الصديق وعبدالوهاب عبداللطيف ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٩٧٩م.





فهرس الآيات

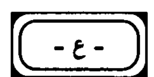
- ي -



فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة

- أ -



- غ -

- ف -

- ق -

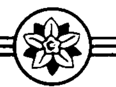
- ك -

- ل -



- و -

- ي -

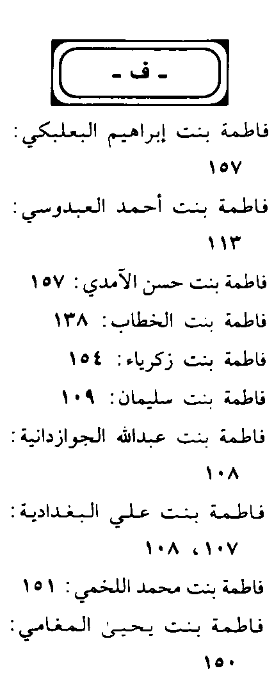


فهرس الأعلام

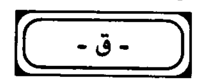
ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ غ ـ



- ف -



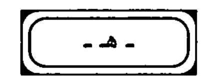
- ق -

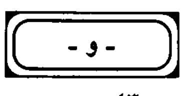
- ك -

- ل -

- م -

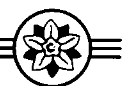

- ن -


- هـ -

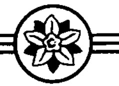

- و -


- ي -





فهرس الأماكن



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة




تَعليمُ الفَتيات
لا سُفورُ المَرْأةِ